وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الدكتور يحي فارس بالمدية
كلية العلوم الانسانية والاجتماعية
قسم العلوم الانسانية

الجامعة الإسلامية بين
السيد جمال الدين الأفغاني والسلطان عبد الحميد الثاني
أواخر القرن 19م ومطلع القرن 20م

مذكّرة مقدّمة للحصول على شهادة الماستر في التاريخ الحديث والمعاصر

إعداد الطالبة:
فاطمة الزهراء رحماني

إشراف الدكتورة:
نادية طرشون

السنة الجامعية:1435-1436هـ /2014-2015م

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الدكتور يحي فارس بالمدية
كلية العلوم الانسانية والاجتماعية
قسم العلوم الانسانية

الجامعة الإسلامية بين
السيد جمال الدين الأفغاني والسلطان عبد الحميد الثاني
أواخر القرن 19م ومطلع القرن 20م

مذكّرة مقدّمة للحصول على شهادة الماستر في التاريخ الحديث والمعاصر

إعداد الطالبة:
فاطمة الزهراء رحماني

إشراف الدكتورة:
نادية طرشون

لجنة المناقشة
أ. سهيل جمال.....رئيسا
د. نادية طرشون.....مشرفا ومقررا
أ. مولود قرين.....مناقشا

السنة الجامعية:1435-1436هـ /2014-2015م



الإهداء

إلى رمز المحبة والإخلاص والوفاء ...أمي الحبيبة... التي تحملت ضوضاء كتبي وأوراقي

إلى رمز التضحية و الشجاعة ...أبي الحبيب...سندي وركيزتي في هذه الحياة

الى من يشاركني دفء الأم ودعم الأب ... أخوي الوحيدين محمد وصديق

إلى رفيقات دربي : حنان، سهيلة، فاطمة الزهراء، فتيحة، وفاء، أحلام

إلى كل من تجمعني وإيّاه رابطة الدم ورابطة الدين

الى كل من سار في طريق العلم ... مجتهدا ... مثابرا... وصابرا

الى كل من علّم وأنّار بعلمه عقل غيره وأجاب حيرة السائلين

أهدي ثمرة جهدي العلمي المتواضع



كلمة شكر

أشكر الله عزّ وجلّ الذي أنعم عليّ باستكمال هذا العمل المتواضع

وعملا بقول رسول الله ﷺ: «من لم يشكر النّاس لم يشكر الله »،وعرفانا بالجميل فإنّ من الواجب عليّ في هذا المقام والمنبر أن أتقدّم بالشكر والعرفان للأستاذ المشرف الدكتورة نادية طرشون التي كان لها أطيب الأثر في ترسيخ العزم نحو إتمام هذا العمل ، كما أشكرها على ما قدّمته لي من توجيهات وإرشادات علمية، وعلى الوقت الذي منحتني إياه للرّد على جميع استفساراتي ، وعلى رحابة صدرها ، ،فأسأل الله عزّ وجل أن يجزيها عنّي خير الجزاء.

كما أتوجه بالشكر والتقدير إلى أساتذتي الأفاضل الذين كانوا لي خير عون طيلة دراستي الجامعية والذين ساهموا في هذا العمل برأي أو بتصويب أو بتوجيه وأخص بالذكر الأستاذ الدكتور الغالي غربي الذي لم يبخل عليّ بأرائه وتوجيهاته السديدة رغم إنشغالاته الكثيرة،والذي فتح لي أبواب مخبر الدراسات التاريخية المتوسطية عبر العصور للبحث في ثناياه عن الكتب التي تلزمني في إعداد مذكرتي،والشكر موصول لأمينة المخبر سعيدة حفايري .

وأشكر كل من ساهم في مد يد العون لي من قريب أو بعيد

فإليهم أسمى عبارات التقدير والإحترام

قائمة المختصرات

باللغة العربية	
تر	ترجمة
تع	تعليق
تق	تقديم
م	المجلد
ج	الجزء
ع	العدد
ق	القسم
ط	الطبعة
د ط	دون طبعة
د د	دون دار النشر
د ت	دون تاريخ
ص	الصفحة
باللغة الفرنسية	
Revue du monde musulman	R. M.M
Revue de Paris	R.P
Tome	T
Volume	V
Page	P

المقدمة

شهدت الفترة الممتدة من أواخر القرن التاسع عشر إلى مطلع القرن العشرين تغييرات وتطورات جذرية، إتسمت بظهور تيارات فكرية إستهدفت إصلاح أوضاع المسلمين المتدهورة على مستوى كافة الأصعدة. في الوقت الذي كان فيه الغرب قد دخل مرحلة التفوق الحضاري من أبوابه الواسعة، الأمر الذي أدى الى فتح المجال أمام السيطرة الاستعمارية بوسائلها المختلفة؛ لتقسيم مناطق العالم الإسلامي إلى مناطق نفوذ، مستغلة ذلك الضعف الذي دب في أوصال الدولة العثمانية التي لم تعد قادرة على حماية الولايات المنضوية تحت لوائها.

مثّلت الجامعة الاسلامية أحد أهم تلك التيارات الفكرية التي شغلت ولا تزال تشغل بال المفكرين والسياسيين الذين كتبوا عنها بشكل عام أو خاص، وقد كثرت الأراء حول هذا التيار وتنّوعت بتنوع المفكرين في تلك الحقبة الزمنية، بل وفي الفترة التي تلتها. ذلك أن كل منهم أبدى وجهة نظر من زاويته الخاصة، مستندا في ذلك على مرجعيته الدينية والاجتماعية وحتى السياسية. فكانت بذلك مجالا للتجاذب والمواقف المؤيدة والرافضة بين أرباب الفكر والقلم في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، خاصة أمام الأفكار الجديدة التي أخذت تتبلور بعد ظهورها بشكل طفيف في ذات القرن، والتي تمثلت في فكرة القومية العربية التي أخذ أصحابها ينادون بها كبديل للجامعة الاسلامية. الأمر الذي دفع بالغرب الإستعماري إلى تزكية تلك النّعرة لدى أولئك الناقمين ومن ثم تكثيف الجهود في سبيل القضاء على هذه الرابطة التضامنية الجامعة لكلمة المسلمين.

لقد كان الواقع الإسلامي المرير بمثابة الحاضنة التي ولدت فيها الجامعة الإسلامية كفكرة انبرى لقيادتها ثلة من المفكرين يتقدمهم السيد "جمال الدين الأفغاني"، والذي يعتبر في نظر من أنصفه أحد أهم أعلام الحركة الإصلاحية خلال القرن التاسع عشر، فضلا عن كونه الأب الروحي للجامعة الإسلامية، فقد كان أول من دعا إليها وسعى لتحقيقها من خلال جملة من المبادئ والأسس. ولم تدخل هذه الفكرة إلى معترك السياسة الدولية إلا في عهد "السلطان عبد الحميد الثاني" –سلطان الدولة العثمانية –الذي تبناها وأوجد من أجل تحقيقها مجموعة من الوسائل ، محاولة منه لحفظ الدولة العثمانية المتداعية للإنهيار، وتحريك الرأي العام الإسلامي وتأليبه ضد الإحتلال الأجنبي.

دواعي إختيار الموضوع:

كان إختياري لهذا الموضوع وليد رغبة قوية جاشت في نفسي لبحث حقيقة الجامعة الإسلامية وإظهار دورها في جمع كلمة المسلمين تحت راية واحدة من خلال تسليط الضوء على جهود بعض المفكرين والسلاطين العثمانيين الذين قاموا بنشر أفكارهم عن وعي وقصد، مع التركيز على الأساليب

والمبادئ التي استندوا عليها من أجل تجسيد هذه الفكرة، ونخص بالذّكر السيد "جمال الدين الأفغاني" والسلطان "عبد الحميد الثاني" باعتبار أنّ الأول مصلح والثاني سياسي، بالإضافة إلى محاولة الرد على إفتراءات الكتابات الأوروربية .

أهمية الموضوع:

يكتسي هذا الموضوع أهمية كبيرة في تاريخ العالم الإسلامي، كونه يستهدف استجلاء الدور الذي قامت به الرابطة الإسلامية، في تحريك الشعور الديني الإسلامي، وحشد القوى في مواجهة العدوان الأوروبي، والنهوض بالمجتمعات الإسلامية ومواكبة المجتمعات الغربية في ظل تفوقها الحضاري. فموضوع البحث يهتم بمرحلة من أخطر المراحل التي مرّ بها العالم الإسلامي سياسيا واجتماعيا وثقافيا وهو بداية التغلغل الأوروبي لاسيما في الفترة الممتدة من أواخر القرن التاسع عشر إلى مطلع القرن العشرين، محاولا زرع بذور التفرقة والتشتت بين المسلمين. كما تكمن أهمية هذا الموضوع في كونها تتبع أثر كل من " الأفغاني" والسلطان "عبد الحميد الثاني" في حث المسلمين على الإتحاد والتعاون في ظل الجامعة الإسلامية.

الإشكالية:

نظرا لتلك الأهمية التي يكتسبها هذا الموضوع فإن دراسته تلزمنا طرح الإشكالية التالية:

هل كانت الجامعة الإسلامية مشروعا فكريا أم سياسيا أم الإثنين معا ؟ ومن هذه الإشكالية تتفرع عنها بعض التساؤلات يمكن حصرها فيمايلي:

- ماهي القيمة الفكرية والسياسية للجامعة الإسلامية، وما موقعها من الحركة الإصلاحية التي ميّزت القرن التاسع عشر ؟
- إلى أي مدى أثرت في المجتمعات الإسلامية بمختلف فئاتها ؟
- ما مدى مساهمة كل من السيد "جمال الدين الأفغاني" والسلطان "عبد الحميد الثاني" في تجسيد الجامعة الإسلامية ؟ .

الدراسات السابقة:

حظيت الجامعة الإسلامية في مختلف الجوانب ببعض الدراسات الوافية التي سبقت دراستي هذه وقد تنّوعت بين الرسائل الجامعية والمقالات. فنجد على سبيل المثال رسالة الماجستير ل:أمحمد دراوي المعنونة ب:"**الجزائر والجامعة الإسلامية 1876-1924م**" ،فضلا عن أطروحة الدكتوراه ل:الصادق دهاش والتي تحمل عنوان: "**مشروع الوحدة التحرري لحركة الجامعة الإسلامية في بلدان المغرب**

العربي بين 1876-1919م".بالإضافة إلى مقال للدكتور جمال قنان عنوانه: "نظرة حول حركة الإصلاح الإسلامي والجامعة الإسلامية خلال القرن التاسع عشر". فضلا عن رسالة الماجستير ل:فردوس حافظ محمد جمال الدين المعنونة ب:"**موقف أوروبا من دعوة السلطان عبد الحميد الثاني لإنشاء الجامعة الإسلامية 1876-1909م**".دون أن ننسى مقال الدكتور عبد الرؤوف سنو المعنون ب:" السلطان عبد الحميد الثاني والعرب الجامعة الإسلامية وأثرها في احتواء القومية العربية".

المنهج المتبع:

تم الاعتماد في دراسة هذا الموضوع المنهج التاريخي الوصفي إلى جانب المنهج التحليلي، فأما الأول فقد كان من أجل دراسة الجانب التاريخي للجامعة الإسلامية وتطورها، من خلال عرض المادة الوصفية التي تم رصدها من المصادر والمراجع بأسلوب خبري ونمط سردي. أما الثاني فقد كان من أجل تفسير وتحليل الموضوع خاصة فيما يتعلق بنظرة السيد "جمال الدين الأفغاني" والسلطان "عبد الحميد الثاني" للجامعة الاسلامية. بالإضافة إلى هذين المنهجين تم الإعتماد على المنهج المقارن في بعض جزئيات هذه الدراسة، وذلك من أجل المقارنة بين الأفغاني والسلطان من جهة ،وبين المواقف العثمانية والأوروربية من جهة أخرى.

خطة الموضوع:

اشتملت خطة هذه الدراسة على مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة أما المبحث الأول فقد عنوناه ب: **التطور التاريخي لمفهوم الجامعة الاسلامية** ،وقد تضمن الحديث عن ماهية الجامعة الإسلامية، حيث ركزت فيه على مفهومها الفكري والسياسي، بالإضافة إلى الحديث عن خلفياتها التاريخية من خلال التطرق إلى الحركات الإصلاحية في العالم الإسلامي وفي الدولة العثمانية. كما تطرقت في المبحث إلى المفهوم العثماني والمفهوم الأوروبي محاولة إبراز المواقف المؤيدة والرافضة لها.

أما المبحث الثاني الذي يحمل عنوان: **البعد الإصلاحي للجامعة الإسلامية في فكر السيد جمال الدين الأفغاني** فقد أدرجت تحته عنصرين، تناولت فيهما مظاهر البعد الإصلاحي عند الأفغاني بالحديث عن الإصلاح الفكري والإصلاح السياسي مبرزتا الدور الذي لعبه من أجل نشر دعوته تلك من خلال كتاباته وخطاباته الفكرية والسياسية.

يليه المبحث الثالث المعنون **بالسياسة الإسلامية عند السلطان عبد الحميد الثاني**، ومن خلاله عالجت نظرة هذا الأخير للجامعة الإسلامية وكيفية تعامله معها، وذلك من خلال التطرق إلى

سياسته الدّاخلية التي أخذت بعدا روحيا، وسياسته الخارجية التي أخذت بعدا سياسيا. كما حاولت تقصي مدى نجاعة تلك الوسائل التي اعتمد عليها السلطان في سبيل تجسيد الجامعة الإسلامية.

التعريف بأهم المصادر والمراجع:

لما كان هذا الموضوع يتطلب مجموعة من المؤلفات فإنني عكفت على إستيقاء معلوماته من منابعه الأصيلة المتمثلة في المصادر العربية والأجنبية بالإضافة إلى المجلات التي كانت معاصرة لهذا الحدث في تلك الفترة الزمنية. زيادة على ذلك فإني استعنت بأهم المراجع التي تخدم الموضوع.

أما المصادر العربية فقد شمّلت كتابات جمال الدين الأفغاني والسلطان عبد الحميد الثاني أبرزها:

- كتاب: **خاطرات جمال الدين الأفغاني أراء وأفكار** والذي لم يكتبه الأفغاني بخط يده وإنّما أملاه على تلميذه محمد باشا المخزومي. وقد ضمّن فيه أفكاره ومبادئه خلال تواجده في الدولة العثمانية في عهد السلطان "عبد الحميد الثاني" 1892-1897م،وقد أفادني هذا الكتاب خاصة في معرفة موقف "الأفغاني" من الدولة العثمانية والعلاقة بينه وبين السلطان في ظل دعوته للجامعة الإسلامية.

- كتاب: **العروة الوثقى**، وهو في الأصل جريدة مكونة من ثمانية عشر عددا حرّرها "الأفغاني" رفقة تلميذه الشيخ "محمد عبده"، ثم جمعت في كتاب من قبل سيد هادي خسرو المخزومي. وتعدّ هذه الجريدة من أهم المصادر التي اعتمدت عليها في دراسة هذا الموضوع كونّها تحمل في طياتها أحداثا تاريخية هامة خلال الفترة المدروسة إلى جانب تركيزها على الجامعة الإسلامية وخطوات تحقيقها.

- مذكرات السلطان "عبد الحميد الثاني "المعنونة ب:**مذكراتي السياسية 1891-1908م**،والتي تضمنت أراءه وأفكاره، كما بيّنت شخصيته السياسية والإسلامية. وقد خصص السلطان جزءا من مذكراته تلك للحديث عن موضوع الجامعة الإسلامية وإن لم يفرد لها عنوان بارزا،إلاّ أنّه تحدث عنها من خلال بعض الموضوعات مثل: الخط الحديدي الحجازي وغيرها.

زيادة على ذلك تعدّ مجلة "المنار" من بين المصادر العربية التي أفادتني كثيرا في صياغة مباحث هذا الموضوع. وقد صدرت هذه المجلة من قبل الشيخ "محمد رشيد رضا" سنة 1898م في القاهرة. تقع في 34 مجلدا، وهي مجلة شهرية تبحث في فلسفة الدّين وشؤون الإجتماع والعمران. ومن بين الموضوعات التي ركزّت عليها الجامعة الإسلامية التي أفردت لها عدّة مقالات.

أما فيما يخص المصادر الأجنبية فتمثلت في المجلات وأهمها:

- **"La Revue du Monde Musulman"** : صدرت هذه المجلة سنة 1906م في باريس من قبل جمعية "الإرسالية العلمية المغربية"، وهي تعنى بالدراسات الشرقية، حيث كتب فيها العديد من المستشرقين من أمثال"Le chatelier " رئيس تحريرها والمستشرق "Louis Massignon" وغيرهم،وقد أفردت بعض المقالات الخاصة بالجامعة الإسلامية ،والتي أبرزت من خلالها مختلف المواقف الأوروربية المؤيدة والرافضة لها حيث نجد على سبيل المثال:

-A, Le chatelier ; "Le Panislamism et le Progrés" , R.M.M , vol 01 ,n 04, bureaux de la revue, Paris ,février 1907 ,p p 465-471.

-Azéri et L.B ; "Le Panislamisme" , R.M.M, vol 27, Ernest Le roux éditeur, paris, 1914,p p 387-391.

- **" La Revue de Paris "** : صدرت سنة 1829م من قبل « Louis-Désiré Véron »، وقد ظهرت على أربع مراحل(1829-1845م)و(1851-1858م)و(1864-1865م)و(1894 - 1907م)،نتيجة لتعطيلها عدة مرات من طرف الحكومة الفرنسية لأسباب سياسية. والمجلة التي بين أيدينا هي الخاصة بالفترة الزمنية الرابعة لاسيما العدد السادس الصادر سنة 1899م،حيث خصص حيّزا للحديث عن الجامعة الإسلامية في إحدى مقالاته مثل:

-Depont ,O et Talayrach d'erkhard ; "Panislamisme et Propagande islamique", La Revue de Paris ,T06 ,Bureaux de la Revue , Paris, Novembre ,1899 , p p 231-260.

فيما يخص المراجع العربية فيمكن حصرها:

-عمارة محمد، **جمال الدين الأفغاني المفترى عليه:** جاء هذا الكتاب في طبعته الأولى للدّفاع عن الأفغاني وعن دعوته للجامعة الإسلامية أمام الإفتراءات التي كان يدعيها خصومه لاسيما الدكتور لويس عوض، لتستكمل الطبعة الثانية تلك المهمة ولكن بعنوان مغاير تمثل في :**جمال الدين الأفغاني بين حقائق التاريخ وأكاذيب لويس عوض،** وقد اعتمدت على الطبعة الأولى كوني لم أعثر على الثانية إلاّ بعد إتمامي للموضوع.

-حرب محمد، **السلطان عبد الحميد الثاني آخر السلاطين العثمانيين الكبار**. يستهدف هذا الكتاب دراسة شخصية السلطان "عبد الحميد الثاني" مع التركيز على أحداث عصره وما يحيط به من تحديات داخلية وخارجية، لكن اعتمادي عليه شملّ الباب الثالث المعنون ب:الوحدة الإسلامية في سياسة السلطان عبد الحميد الثاني، حيث تطرق فيه المؤلف إلى الوسائل التي انتهجها السلطان لتحقيق الجامعة ومواجهة الزّحف الأوروبي.

بالإضافة إلى مجموعة من المقالات والرسائل الجامعية المتخصصة والعامة التي تخدم الموضوع من بعض جوانبه نذكر منها:

-سنو عبد الرؤوف،"السلطان عبد الحميد الثاني والعرب الجامعة الإسلامية وأثرها في احتواء القومية العربية" : جاء هذا المقال في مجلة حوار العرب، وقد صدر في سنة 2005م ببيروت. تطرّق فيه المؤلف إلى سياسة السلطان "عبد الحميد الثاني" القائمة على التقرب من العرب، فبين الخلفيات والأبعاد من ذلك، كما عالج قضية الجامعة الإسلامية من خلال إبرازه للسياسة الإسلامية للسلطان.

-التكريتي نصير خير الله محمد، "أضواء على موقف مصر من حركة الجامعة الإسلامية 1882-1908م". جاء هذا المقال في مجلة جامعة تكريت للعلوم وصدر سنة2011م،وقد عالج فيه المؤلف موقف مصر من الجامعة الإسلامية من خلال حديثه عن المواقف المؤيدة التي تبنتها بعض الشخصيات كالشيخ "محمد عبده "والشيخ "محمد رشيد رضا"، والمواقف المعارضة التي تبنتها بعض الأحزاب الوطنية كحزب الإصلاح.

بالنسبة للرسائل الجامعية فقد كان أهم ما اعتمدت عليه في هذه الدراسة:

-حافظ محمد جمال الدين فردوس، **موقف أوروبا من دعوة السلطان عبد الحميد الثاني لإنشاء الجامعة الإسلامية 1876-1909م**.وقد أفادتني هذه الرسالة في استجلاء الموقف الأوروبي من الجامعة الإسلامية، من خلال تتبع ردود أفعال المفكرين والسياسيين الأوروربيين، بالإضافة إلى السياسة الإسلامية للسلطان "عبد الحميد الثاني".

صعوبات الدراسة:

كان من الطبيعي أن يعترض سبيل هذا البحث بعض العراقيل والصعوبات، كصعوبة الوصول إلى دراسة شافية ووافية للموضوع أمام تشعبه وطوله مما جعلني أقع في بعض الأحيان في التكرار دون أن أشعر. زيادة على ذلك فإن الجامعة الإسلامية تعدّ من أهم القضايا الشائكة التي تحتاج إلى التعمق والبحث الدقيق في ثنايا الكتب وهذا ما ألزمني ببذل جهد كبير في قراءة موضوعات عامة علّني أعثر على فكرة جديدة بين أسطرها. وما زاد من صعوبة البحث إرتباط الجانب الفكري للموضوع بجوانب أخرى سياسية ودينية واجتماعية، خاصة لما يتعلق الأمر بنظرة كل من "جمال الدين الأفغاني" والسلطان "عبد الحميد الثاني" للجامعة الإسلامية، الأمر الذي صعب عليّ من مهمة الإلمام بحيثيات الجامعة الإسلامية من حيث ماهيتها من جهة ومبادئها من جهة أخرى.

المبحث الأول:
التطور التاريخي لمفهوم الجامعة الاسلامية

المطلب الأول : ماهية الجامعة الإسلامية

1. المفهوم الفكري والسياسي
2. الخلفيات التاريخية

المطلب الثاني: الجامعة الاسلامية بين المفهوم الإسلامي والمفهوم الأوروربي

1. المفهوم الإسلامي

أ) الإتجاه الاصلاحي التجديدي

ب) الإتجاه القومي

2. المفهوم الأوروربي

أ) رجال السياسة

ب) المفكرون والكتاب

ماهية الجامعة الإسلامية:

1.المفهوم الفكري والسياسي:

يعدّ مصطلح الجامعة الإسلامية حديث التداول في الفكر العربي الإسلامي، حيث لا نجده ضمن المصطلحات المتداولة قبل القرن التاسع عشر، مثل الدعاية الإسلامية والأخوة بشكل عام والوحدة الإسلامية على وجه الخصوص التي كانت الأكثر شيوعا وانتشارا [1]؛لذلك يستخدم مصطلح الجامعة والوحدة الإسلامية بمعان متداخلة والبعض يساوي بينهما [2]، في حين أن البعض الآخر يفرق بينهما على أساس أن الأولى هي وسيلة لتحقيق الثانية [3]. وهذا إن دلّ على شيء ؛ فإنّما يدل على عدم استقرار وتثبيت تعريفات هذين الاصطلاحين، نتيجة تضارب الآراء ووجهات نظر المفكرين والمؤرخين، حيث قدم كل واحد منهم تعريفا من الزاوية التي يراها مناسبة، مما جعل الدارس لهذا الموضوع يقع في نوع من اللبس. الأمر الذي أدى إلى صعوبة الفصل في هذه القضية، وأمام هذا الزخم الكبير من المرادفات، ويمكن تفسير ذلك التباين بالأطر المرجعية الدينية والفكرية ، السياسية والحضارية لكل مفكر ومؤرخ [4]،مع ذلك يبدو أن الجامعة الإسلامية قد استوعبت ذلك الكم الهائل رغم تضارب وتعارض بعضها مع المصطلح في حد ذاته في بعض الأحيان.

تعدّى الاختلاف في وجهات النظر بين المفكرين والمؤرخين مصطلح الجامعة الإسلامية إلى الإختلاف حول طبيعتها، حيث أن مفهومها هو مفهوم إشكالي، نتيجة لأبعادها المتشابكة والمتداخلة فيما بينها، والتي تتصل بالمجال الفكري والسياسي، وقد أخذت تعريفاتها تتطور متماشية مع تطور الظروف الداخلية والخارجية المحيطة بالمجتمع الإسلامي والفهم المتجدد لها ودورها، فكانت تعريفات جلّ المؤرخين وعلماء السياسة تجمع بين الجانب الفكري والجانب السياسي، فحصل نوع من الإجماع على اعتبار أن الجامعة الإسلامية بمثابة تيار فكري وسياسي واسع وهام، ظهر في النصف

---

[1] من المصطلحات التي أطلقت أيضا على الجامعة الإسلامية: التكتل والإتحاد والتضامن الإسلامي، والرابطة الإسلامية، أنظر: الصادق دهاش ،**مشروع الوحدة التحرري لحركة الجامعة الإسلامية في بلدان المغرب العربي بين 1876–1919م**،أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر ،(مرقونة) ،جامعة الجزائر 02، 2008-2009م،ص 75-102.

[2] يعد المؤرخ لوثروب ستودارد من بين الذين اعتمدوا مصطلح الوحدة الإسلامية مرادفا للجامعة الإسلامية. فبعد استخدامه لمصطلح الجامعة الإسلامية في التعريف، يعود للاستخدام الوحدة الإسلامية. أنظر: لوثروب ستودارد ، **حاضر العالم الإسلامي** ، تر: عجاج نويهض ، تع: شكيب أرسلان، م1،ط4،دار الفكر ، بيروت،1973م،ص ص 287-288.

[3] أبو القاسم سعد الله، **الحركة الوطنية الجزائرية 1900–1930 م** ،ج2،ط 4،دار الغرب الإسلامي،بيروت،1992م،ص 109.

[4] دهاش ، نفسه ،ص62 .

الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي في العالم الإسلامي ،بقيادة نخبة من المفكرين بعد أن أدركوا التحديات التي تواجه الشعوب الإسلامية والمعوقات التي حالت بين المسلمين والتقدم الحضاري[1].

مثلت الجامعة الإسلامية مظهرا من مظاهر اليقظة الإسلامية التي ظهرت خلال نفس القرن، فقد ظهرت لتجسيد تلك الرغبة التي حرّت في نفوس المسلمين، من خلال استخدام روابط الأخوة والتضامن الإسلامي، فكانت بذلك وسيلة بالغة الأهمية في إعادة إحياء الجانب الروحي لديهم، وإيقاظهم من سباتهم العميق ومن مرحلة التأخر والإنحطاط، إلى مواكبة التفوق الحضاري للغرب في مختلف الميادين[2].

كما تعرّف على أنها تعبير عقائدي حسي ومعنوي، له أبعاد إجتماعية لا يشترط فيها الإنتماء المبني على أساس الوطن أو الإقليم؛ وإنما يستوجب تجاوز الوطن القومي العربي إلى العالم الإسلامي على أن يكون قوامها الإسلام، الذي على أساسه يحدد كيان المسلم وهويته، لذلك اختارتها نخبة من المفكرين كوسيلة لتحدي الواقع الطبيعي أو الواقع الحضاري المعاش[3].فهي الشعور بالوحدة العامة والعروة الوثقى، التي لا انفصام لها بين جميع المسلمين في أنحاء العالم الإسلامي؛ لتكون بذلك أقوى من الجامعة التي تجمع النصارى مع بعضهم البعض[4]، ولا تقتصر هذه الوحدة على توحيد المسلمين وفقط، بل وحتى بين المسلمين وغير المسلمين، فالدين الإسلامي ينسجم مع الديانات الأخرى.

أما من المنظور السياسي فتعدّ الجامعة الإسلامية إتحادّا متماسكا بين المسلمين من مختلف البلدان الإسلامية، الذي يضمن لهم مواجهة الخطر الأجنبي الذي داهمهم[5]،لاسيما بعد أن تأكد للمفكرين المسلمين عجزهم عن التصدي لذلك الخطر أمام تفوقه العسكري إنطلاقا من عدم جدوى النضال المحلي[6].كما هي وسيلة للتحرر من الحكم الإستبدادي الذي ميزّ القرن التاسع عشر.

---

(1) محمد عمارة ، **جمال الدين الأفغاني المفترى عليه** ،ط1،دار الشروق،القاهرة-بيروت،1988م،ص 173.

(2) عبد الوهاب الكيالي، **الموسوعة السياسية** ، ج 2،د.ط، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت، ص 18.

(3) عمارة ، نفسه، ص ص161-162.

(4) ستودارد ، المصدر السابق، ص ص 287-288.

(5) O.Depont et Talayrach d'erkhard ; "Panislamisme et Propagande islamique" ,R.P ,T 06 ,Bureaux de la Revue , Paris, Novembre ,1899 , p231.

(6) علي المحافظة ،**الإتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة 1798-1914م**، د.ط،دار الأهلية،بيروت،1987 م، ص 109.

ارتبطت الجامعة الإسلامية بتيارات فكرية وسياسية اختلفت مواقفها النظرية والتطبيقية، وقد لعبت دورا بارزا في الترويج لها ،من خلال مجهوداتها المتنوعة نتيجة وعيها بالوضع الذي آل إليه العالم الإسلامي، فكانت تلك التيارات على النحو الآتي :

أ) التيار الإصلاحي: و يقوم على إصلاح المجتمع الإسلامي الذي نادت به الحركات الإصلاحية، من خلال العودة إلى تطبيق الشريعة الإسلامية، وتقاليد السلف الصالح، إما بالإجتهاد وتطبيق الشورى إما بالاقتباس من الغرب مع ما يلائم الإسلام. وقد كان هذا الإتجاه اتجاها عقائديا إصلاحيا، ظهر على يد "جمال الدين الأفغاني"[1] الذي يعد الأب الروحي لفكرة الجامعة الإسلامية والداعية الأكبر لها بين حكام الأقطار الإسلامية بهدف مواجهة وتجاوز ظروف العالم الإسلامي دافعا بها المسلمين إلى يقظة تعيد لهم أمجادهم التي كانوا عليها في العصور الإسلامية الأولى.

ب) التيار السياسي : وهو الذي تزعمه "السلطان عبد الحميد الثاني"[2]،حيث عمل على جعل الجامعة الإسلامية تأخذا طابعا سياسيا من خلال تبنيه لها، وذلك لاحتوائه للتفكك الذي أخذ يهدد الدولة العثمانية من جهة، والمد القومي الذي بدأ يعرف انتشارا في العالم الإسلامي من جهة أخرى.

جاء في جريدة المعلومات نقلا عن مجلة العالم الإسلامي أن للجامعة الإسلامية اتجاهان الأول ديني والآخر سياسي؛ فمن الناحية الدينية فقد جاء في القرآن الكريم آيات بينات دالة على ضرورة توحد المسلمين، أما من الناحية السياسية فهي تحالف سياسي دعا إليه معظم السياسيين الإسلاميين.

---

[1] **جمال الدين الأفغاني(1254-1315هـ=1838-1897م)**: محمد بن صفدر الحسيني جمال الدين، فيلسوف الإسلام في عصره، وأحد الأفذاذ الذين قامت على سواعدهم نهضة الشرق الحاضرة. ولد في أسعد آباد بأفغانستان ،تلقى العلوم العقلية والنقلية، وتتلمذ على يده عدة شيوخ. إشتهر بحركته الإصلاحية الدينية والسياسية. أهم منشوراته: "تاريخ الأفغان"، "رسالة على الدهريين" التي ترجمها إلى العربية تلميذه محمد عبده، "خاطرات جمال الدين الأفغاني" والتي جمعها تلميذه محمد المخزومي. أنظر: خير الدين الزركلي، **الأعلام قاموس وتراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين**،ج6،ط5،دار العلم للملايين، بيروت ،2006 م ،ص ص 168-169.

[2] **السلطان عبد الحميد الثاني**: السلطان العثماني الرابع والثلاثون، وهو ابن السلطان عبد المجيد الأول. ولد سنة 1842م ،تلقى تعليما منتظما في القصر السلطاني على يد نخبة مختارة من أشهر رجالات زمنه علما وخلقا، وقد تعلم من اللغات العربية والفارسية، درس التاريخ وأحب الأدب، زار في شبابه رفقة عمه السلطان عبد العزيز بعض الدول الأوروبية كفرنسا وألمانيا والنمسا، كما زار بعض الأقطار الإسلامية كمصر. اعتلى عرش الدولة العثمانية سنة 1876م.قام بجملة من الإصلاحات، واقترن إسمه بالجامعة الإسلامية، أنظر: أورخان محمد علي، **السلطان عبد الحميد الثاني حياته وأحداث عهده** ، ط4 ، إسطنبول، 2008م ، ص 51 وما بعدها.

وهنا أكدت الجريدة أن كل يكمل الآخر، فلا يمكن أن يكون هناك تحالف سياسي دون إحكام الروابط الدينية وتوفر جملة من الشروط أهمها توحيد البرامج المدرسية في جميع الدول الإسلامية.[1]

2.الخلفيات التاريخية:

يؤرخ للجامعة الإسلامية من قبل بعض المؤرخين والمفكرين[2] إبتداءا من عهد النبوة أين آخى الرسول صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار، فقد قام بغرسها وتنميتها بين المسلمين كافة نظرا لإدراكه لمدى أهميتها في تاريخ المجتمع الإسلامي، ثم أخذت تتطور وتتفرع عبر القرون المتلاحقة. بينما يرى البعض الآخر[3] أن ظهورها الأول كان بظهور الحركات الإصلاحية التي تبنتها نخبة من المفكرين، والتي كانت بمثابة أولى الحركات الكبرى التي ميّزت القرن 18م،من خلال تأثيرها في المرحلة الإنتقالية الممهدة لليقظة الإسلامية، والتي استهدفت إصلاح أوضاع المسلمين بالدرجة الأولى من مختلف مظاهر الفساد والإنحلال ،التي مست مختلف المجالات، بالإضافة إلى محاولة إيقاظهم من السبات العميق الذي كانوا فيه، فضلا عن جمع كلمتهم لمواجهة المد الإستعماري .

إتخذت تلك الحركة في بداية مسارها طابعا دينيا محضا، فكانت الحركة الوهابية [4]التي تنسب إلى مؤسسها محمد بن عبد الوهاب[5]، أول رد فعل ديني على مفاسد المجتمع الإسلامي. فقد مثلت في نظر البعض مصدر إلهام بالنسبة للحركات والدعوات الإسلامية خلال القرن 19م،[6]حيث كانت مثالا للثورة التي أقيمت ضد فساد المجتمع؛ وبالتالي يمكن اعتبارها تيار فكري وسياسي يندرج تحت

---

(1) Azéri et L.B ; "Le Panislamisme" ,R.M.M , V 27, Ernest Le roux éditeur , paris , p p 388-389.

(2) ستودراد، المصدر السابق، ص 288.

(3) أبرز المؤيدين لهذا القول: جمال قنان، علي الحافظة ، محمد عمارة وأنور الجندي.

(4) **الحركة الوهابية**: حركة إصلاحية دينية تنتسب إلى محمد بن عبد الوهاب ظهرت في شبه الجزيرة العربية تدعوا إلى إصلاح أحوال المسلمين ونبذ الخرافات والبدع تبنتها أسرة آل سعود بعد لجوء محمد بن عبد الوهاب إليها، أنظر: المحافظة ، المرجع السابق، ص 39-43.

(5) **محمد بن عبد الوهاب(1115-1206هـ=1703-1792م)**: ولد على الأرجح سنة 1703م، ببلدة العينية التي تقع بالقرب من مدينة الرياض، إبن للقاضي الشيخ عبد الوهاب الذي كان على المذهب الحنبلي، الأمر الذي جعله يتأثر به، نشأ في بيئة علمية ودينية. قام بعدة رحلات وهذا ما ساعد في صقل شخصيته، والتي كانت منطلق دعوته الإصلاحية، خاصة لما ذهب إلى الحجاز حاجا، ورأى فيها ما يحدث إقبال على البدع والخرافات ،بالإضافة إلى زيارته للعراق التي ظل بها مدة أربع سنوات أين شاهد تلك الطقوس التي ابتدعها أهل الشيعة، فكانت الحركة الوهابية، أنظر: الزركلي، المرجع السابق، ص 257.

(6) المحافظة ، نفسه، ص 44.

شعار الجامعة الإسلامية من خلال تلك الدعوة التي تبنتها، وقد دعت هذه الحركة إلى تنقية العقيدة الإسلامية من مختلف الشوائب التي علقت بها نتيجة مختلف الطقوس التي كانت تمارسها الطرق الصوفية والمنافية تماما لمبدأ الإسلام، والناجمة عن جهل العلماء، وانقيادهم نحو الإبتداع في العقيدة الإسلامية. كما دعت لاعتبار المصدر الوحيد للعقيدة والمتمثل في كتاب الله وسنة نبيه الكريم[1].

كما تعدّ الحركة السنوسية[2] التي أسسها محمد بن علي السنوسي[3] إمتدادا للحركة الوهابية، وبذلك كانت ثاني حركة إصلاحية تعمل وتناضل تحت شعار الجامعة الإسلامية[4].وقد ارتكزت على ثلاث مرتكزات في دعوتها، كان أولها: العودة بالإسلام إلى نقائه وصفائه الأول واعتبار الكتاب والسنة مصدري الشريعة الإسلامية، أما ثانيها فقد تمثلت في إنشاء الزوايا وجعل مهمتها الأساسية تنصب حول النشاط الإجتماعي والتعليمي إلى جانب النشاط الديني، بينما تمثلت الثالثة في العمل على نشر الإسلام والدعوة له في عمق القارة الإفريقية بحكم أنها ولدت في أحضانها. بهدف التصدي للخطر الإستعماري الذي داهم القارة[5].

يبدو أنه رغم النشاط الذي قامت به هذه الحركات في سبيل إعادة المسلمين إلى حظيرة الإسلام، والمجهودات التي بذلتها في سبيل تحقيق الجامعة الإسلامية-وإن كانت لم تصرح بها علنا-،إلا أنها لم تتمكن من تحقيق النجاح، لكونها لم تتجاوز نطاق بيئتها الإقليمية ؛ فقد برزت الحركة الوهابية في

---

(1) جمال قنان،"نظرة حول حركة الإصلاح الإسلامي والجامعة الإسلامية في القرن التاسع عشر" ،مجلة المصادر،العدد11،مركز الدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م،قرص مضغوط.

(2) **الحركة السنوسية** :حركة إصلاحية ، إتخذت الزاوية قاعدة لها ومنطلقا، وطريقة صوفية معتدلة جمعت بين النظرة الوهابية للإصلاح الديني ومحاسن الطرق الصوفية، تنسب إلى محمد بن علي السنوسي، وكان أول ظهور لها في الثلث الأول من القرن التاسع عشر في ليبيا، وهي تهدف إلى جعل الإنسان مسلما لا صوفيا غيبيا، أنظر: المحافظة، المرجع السابق، ص ص 55-59.

(3) **محمد بن علي السنوسي(1202-1276هـ=1787-1859م)**: أبو عبد الله السنوسي الخطابي الحسني الإدريسي زعيم الطريقة السنوسية الأول ومؤسسها، ولد في الجزائر وبالضبط في مستغانم وتعلم فيها، ثم أكمل تعليمه في المغرب، زار مصر والحجاز، ثم استقر بليبيا، ترعرع في جو علمي وديني ،وقد درس بجامع القرويين لمدة سبع سنوات، كما خالط علماء جامع الأزهر وشيوخه، إهتم بالتصوف إهتماما أساسه اعتقاده بأن سبيل الإصلاح الأول هو إيجاد التفاهم بين المهتمين بالإسلام، فدرس القادرية والشاذلية والناصرية، أنظر: الزركلي، المرجع السابق، ص 299.

(4) عمارة ، المرجع السابق ، ص ص 174-175.

(5) لم يكن إهتمام الحركة السنوسية بموضوع الجامعة الإسلامية إلاّ في عهد خلفاء الشيخ محمد بن علي السنوسي ، وعلى رأسهم ابنه أحمد بن الشريف السنوسي، وقد رثاه المسلمون ومنهم شكيب أرسلان، والذي يؤكد صلة السنوسية بالجامعة الإسلامية والخلافة العثمانية، خاصة في عهد السلطان عبد الحميد الثاني للمزيد أنظر: ستودارد، المصدر السابق ، ص ص 145-165.

نجد، أما الحركة السنوسية فقد كان مجال نشاطها الشمال الإفريقي[1].لكنّها ظلت مقدمات للجامعة الإسلامية، الأمر الذي دفع بأحد المؤرخين إلى الدفاع عن هذه الفكرة بقوله:(...كانت دعوة الوحدة الإسلامية أقدم من جمال الدين وكانت واضحة في الحركتين الوهابية والسنوسية، غير أن جمال الدين عمق مفهومها وفلسفتها ودعا إليه على نحو أكثر قوة في ظل ضغط التحديات التي واجهها العالم الإسلامي في عصره وعنف الزحف الإستعماري على العالم العربي وسقوط أجزاء كثيرة في براثنه...).[2]

إذا كانت حركات الإصلاح السالفة الذكر، قد نشأت نتيجة فساد العقيدة الإسلامية، والإبتعاد عن الدين فقد كان للإحتلال العسكري الأوروبي لبعض الأقطار العربية والفرق الشاسع بين العرب والغرب في ظل تفوق هؤلاء على مستوى كافة الأصعدة إلى جانب انتشار الأفكار القومية [3] وضعف الدولة العثمانية، الباعث لظهور الحركات الإصلاحية الحديثة خلال القرن 19م[4].فقد تعرّض العالم الإسلامي خلال هذا القرن لهجمة إستعمارية شنّتها الدول الأوروبية أمام تزايد أطماعها، فكانت كل من الهند وأواسط أسيا ومصر وشمالي إفريقيا الضحية الأولى[5].الأمر الذي أدى بالمصلحين إلى البحث عن وسيلة للتصدي لذلك الخطر، تكون مبنية على أساس العمل الجماعي أمام استحالة النضال الفردي،فكانت الجامعة الإسلامية أهم تلك الوسائل التي تستوفي تلك الشروط.

أما عن الفكر القومي فقد كان هو الآخر أحد أهم العوامل الخارجية،الذي ساهم في ظهور الجامعة الإسلامية خلال تلك الحقبة، فقد دخلت إلى عقر دار العالم العربي الإسلامي عن طريق اقتباس الأفكار والنظم الغربية بالإضافة إلى عوامل أخرى.[6] فلقد كانت العلاقات التي تربط العالم الإسلامي بالدول الأوروبية الغير المحدودة من بين الأسباب التي ساعدت في سهولة إنتقال تلك

---

(1) جميل عبد الله محمد المصري، **حاضر العالم الإسلامي وقضاياه المعاصرة** ،ج1،د.ط،كلية الدعوة وأصول الدين ، المملكة العربية السعودية،1381هـ ،ص 130.

(2) أنور الجندي، **اليقظة الإسلامية في مواجهة الإستعمار منذ ظهورها إلى أوائل الحرب العالمية الأولى**،ط1،دار الإعتصام، القاهرة، 1978م ،ص222.

(3) **القومية:** مصطلح مشتق من القوم، وهي تعبير عن وجود جماعة من الناس يتكلمون لغة واحدة ينحدرون غالبا من أصل واحد كالعرب والأتراك، أنظر: عدنان محمد زرزور ،**جذور الفكر القومي والعلماني**،ط3،المكتب الإسلامي ، بيروت–دمشق–عمان، 1999م ، ص 43.

(4) المحافظة، المرجع السابق، ص 09.

(5) أحمد عبد الرحيم مصطفى ، **في أصول التاريخ العثماني**، ط 3،دار الشروق، القاهرة، 2003م،ص 249.

(6) زرزور، نفسه، ص 47.

الأفكار والأساليب من المجتمع الغربي إلى المجتمع الإسلامي، حيث تعود تلك العلاقات إلى الإمتيازات التي منحتها الدولة العثمانية للدول الأوروبية (بريطانيا، فرنسا وروسيا)[1].

رغم تلك التحديات الخارجية التي أثرت في المجتمع الإسلامي عموما، وفي النخبة المثقفة على وجه الخصوص، إلا أن ذلك قد يكون أمرا مبالغا فيه إذا جعلناها العامل الوحيد المؤدي إلى ظهور الجامعة الإسلامية، حيث لا يمكن إغفال التحديات الداخلية التي ساهمت هي الأخرى في السعي لإيجاد حلول من شأنها أن تخرج المسلمين مما هم فيه؛ فتردي أوضاع هؤلاء في مختلف الميادين كان من بين تلك العوائق التي حالت دون التقدم الحضاري ومواكبة الغرب، حيث ابتليت الأمة الإسلامية بفساد عقيدتها وانحطاط مستواها الأخلاقي وابتعادها عن الدين. بالإضافة إلى إنحطاط مستواها التربوي والتعليمي، لذلك برزت فئة من المصلحين حاولت إصلاح تلك المشاكل من خلال تبنيها لأساليب تجديدية وإعتماد مناهج تعليمية جديدة.

كما يعدّ الضعف الذي دب في أوصال الدولة العثمانية أحد تلك التحديات الداخلية، التي واجهت الأمة الإسلامية. إذ عاشت الدولة خلال القرن 19م في مشاكل داخلية وخارجية، كانت أغلبها ذات طابع سياسي وإقتصادي وعسكري ،(تمثلت في ضعف المركز المالي للدولة ورهن مواردها للدائنين الأوروبيين وثورات شعوب البلقان وتسلط الدول الأوروبية الكبرى الذي أدى إلى إحتلال تونس سنة 1881م،ومصر سنة 1882م)[2].

أمام ذلك الضعف برزت ثلاث إتجاهات فكرية[3] سعت إلى تشخيص تلك المشاكل ومن ثم معالجتها من خلال عملية الإصلاح التي تبنتها، في إطار الجامعة الإسلامية. فكان أولها تلك الذي

---

(1) انتشرت الأفكار القومية عن طريق أولئك الذين تعلموا في تلك المدارس التبشيرية أو الذين درسوا في أوروبا، وكان معظمهم من أبناء النصارى في بلاد الشام. الذين جلبوا معهم تلك التقاليد الجديدة الخارجة عن ماهو مألوف لدى العرب المسلمين. لذلك كان التعليم أهم المجالات التي مسها الإقتباس بشكل مباشر، أنظر: فردوس حافظ محمد جمال الدين، **موقف أوروبا من دعوة السلطان عبد الحميد الثاني لإنشاء الجامعة الإسلامية 1876–1909م**،رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الحديث، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية،2006–2007م،ص24.

(2) محمد الخير عبد القادر، **نكبة الامة العربية بسقوط الخلافة العثمانية دراسة للقضية العربية في خمسين عاما 1875–1965م**،ط1،مكتبة وهبة، القاهرة،1985م،ص 62.

(1) من أبرز من تبنى الإتجاه الأول فؤاد باشا ومدحت باشا، أما الثاني فقد مثله نامق كمال، بينما الثالث فقد تبناه ضيا باشا، أنظر: محمد سهيل طقوش، **تاريخ العثمانيين من قيام الدولة إلى الإنقلاب على الخلافة**،ط3،دار النفائس، بيروت، 2013م،ص 479 .

نادى بالإصلاح من خلال الأخذ بيد الدولة العثمانية نحو الحضارة الغربية وإقتباس النظم والأساليب الأوروبية وتعميمها في الحكم والإدارة والثقافة والإجتماع. أما الإتجاه الثاني فقد نادى بالعودة إلى الشريعة الإسلامية وتطبيق الأفكار الإسلامية. بينما نادى الثالث بالتوفيق بين الإتجاه الأول والثاني. وقد ظلت تلك الإتجاهات تتطور وفقا للظروف الداخلية والخارجية، إلى أن تبلورت في أواخر القرن التاسع عشر في شكل تيار نادى بإنشاء رابطة إسلامية تجمع أجزاء العالم الإسلامي بعضها ببعض عرّفت بالجامعة الإسلامية التي نادى بها السيد "جمال الدين الأفغاني".

إلا أن هناك من يرى أن هذه الفكرة تحتاج إلى المراجعة. وهذا ما دافع عنه "أبو القاسم سعد الله" حيث أنه كان يرى بأن الجزائريين هم أول من نادوا بالتضامن بين المسلمين[1]،وبإصلاح الإسلام مع الإستفادة من الحضارة الغربية. ومن جهته بيّن أن حمدان خوجة الجزائري[2] هو أول من دعا إلى ذلك التضامن من خلال الإقتباس من الغرب مع ما يلائم الشريعة الإسلامية فهو في نظره من الرواد الأوائل لفكرة الجامعة الإسلامية، ليضيف أن الأمير عبد القادر كان هو الآخر مصلحا إسلاميا في اتجاهه.[3] إلاّ أن هذا الفهم لا يحظى باتفاق الجميع، وهذا ما قد بيناه في البداية عندما تحدثنا عن إجماع جل المؤرخين على اعتبار الحركة الإصلاحية من ممهدات الجامعة الإسلامية لذلك نعتقد أن هذه النظرة إنما هي ناجمة عن الوعي الوطني لدى المؤرخ .

الجامعة الإسلامية بين المفهوم الإسلامي والمفهوم الأوروربي:

1. **المفهوم الإسلامي:**

---

[2] كان التحدي الإستعماري الفرنسي وما صاحبه من مظاهر العنف ومحاولات القضاء على الشخصية الوطنية الذي تعرضت له الجزائر إبتداءا من سنة 1830م ،هو الذي أعطاها المركز الأول للجامعة الإسلامية، والمقاومة الجزائرية كانت أول مجابهة من نوعها بين الشرق والغرب في التاريخ الحديث، وأطلق عليها سعد الله "الجامعة الإسلامية الجزائرية"، أنظر: سعد الله، المرجع السابق، ص 110.

[3] **حمدان خوجة (1187-1261هـ=1779-1845م)**: حمدان بن عثمان خوجة الجزائري الحنفي ولد وتعلم بالجزائر، كرغلي الأصل، وهو من أبرز أعلام الفكر والنضال السياسي في الجزائر خلال القرن 19م،اشتهر بدفاعه عن الجزائر أثناء الإحتلال بفكره وقلمه، ، تواجد بباريس عام 1833م،ثم غادرها ليستقر بإسطنبول إلى أن وافته المنية ،تاركا أثاره الفكرية والتي يمكن أن نحصرها فيمايلي: "المرآة" ، "إتحاف المنصفين والأدباء في الإحتراس من الوباء"، أنظر: الزركلي، المرجع السابق، ج 02،ص 274.

[4] سعد الله، المرجع نفسه، ص ص109-110.

أثار مفهوم الجامعة الإسلامية جدلا كبيرا في الفكر الإسلامي بين مختلف التيارات الفكرية والسياسية، الأمر الذي أدى إلى تباين الأراء ووجهات النظر حولها. ولعل أبرزها تلك التي مثلها كل من الإتجاه الإصلاحي التجديدي والإتجاه القومي.

أ) الإتجاه الإصلاحي التجديدي:

ارتبط مفهوم الجامعة الإسلامية بالحركة الإصلاحية التي قادتها نخبة من المفكرين من خلال دعوتهم لضرورة التمسك بتعاليم الدين الإسلامي الصحيح، وتطهيره من مختلف الشوائب التي لحقت به وكل ما يخالف كتاب الله وسنة نبيه الكريم والعمل على تجديد الإسلام. وعندما نتحدث عن هذا الإتجاه لابد أن نذكر تلميذ "جمال الدين الأفغاني" الشيخ "محمد عبده"[1] تلميذ هذا الأخير الشيخ "محمد رشيد رضا"[2].

أما الشيخ "محمد عبده" فقد اتفق مع أستاذه في الدعوة إلى الجامعة الإسلامية. ولعلّ ذلك يرجع إلى تأثره به من خلال الدروس التي كان يلقيها في مصر؛ حيث رأى أن تحقيقها يستلزم قيام حركة إصلاحية شاملة يكون أساسها العودة إلى أصول العقيدة الإسلامية وفهمها على طريقة السلف[3]؛ لذلك اجتهد في الدعوة لها والدفاع عنها، بعد أن تعرضت لها بعض الأقلام الفكرية الغربية برميها بالعصبية والعنصرية ومعاداة الآخرين، حيث اعتبرها نزعة بعيدة عن التعصب تهدف إلى إحداث التوازن في العلاقات بين المسلمين والأوروبيين.

تعدّ المؤتمرات والصحافة والتعليم في نظر الشيخ "محمد عبده" أحد أهم الوسائل التي كان يخطط للإعتماد عليها لتجسيد فكرة الجامعة الإسلامية،[4]فقد كان يأمل في عقد مؤتمر يجمع جميع الطوائف

---

(1) **الشيخ محمد عبده(1266–1323=1849–1905م)**: مفتي الديار المصرية، ومن كبار رجال الإصلاح والتجديد في الإسلام. ولد في إحدى القرى الغربية بمصر، درس بالجامع الأحمدي بطنطا ثم بالأزهر. اشتغل في التعليم، وكتب في الصحف ولاسيما جريدة الوقائع المصرية التي تولى تحريرها. أصدر مع صديقه وأستاذه جمال الدين الأفغاني جريدة العروة الوثقى، وله عدة مقالات: أشهرها الرد على هانوتو، تفسير القرآن الكريم وغيرها، أنظر: الزركلي، المرجع السابق، ص 252.

(2) **محمد رشيد رضا (1282–1354هـ=1865–1935م)**:أحد رجال الإصلاح الإسلامي، من الكتاب ومن علماء الحديث والأدب والتاريخ والتفسير. ولد ونشأ بطرابلس في الشام، عني بالكتابة في الصحف ،فكانت مجلة المنار أبرز ما خلفه في هذا المجال. لازم محمد عبده عندما ارتحل لمصر سنة 1315هـ،أنظر:نفسه،ص126.

(3) محمد رشيد رضا، **تاريخ الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده (1622–1363هـ=1849–1905م)**،ج1،ق1،ط2،دار الفضيلة، القاهرة،2006م،ص11.

(1) خير الله ك.ت، "الجامعة الإسلامية"، مجلة المنار، م 15، ع 2،ط2 ، مصر،1391هـ-1912م،ص ص 133-134.

الإسلامية، للتباحث في أحوال المسلمين ومحاولة مواجهة مختلف التحديات التي اعترضت طريق تقدمهم، فضلا عن محاولة القضاء على مظاهر التفرقة والتشتت التي أخذت تتسلل بينهم،كما كان ينظر للصحافة على أنها الوسيلة التي من شأنها أن تسير بالجامعة الإسلامية نحو التقدم في العالم، فهي تقوم باستعراض أحوال العالم الإسلامي بأسره وتعلق عليها، وتقترح سبل التعامل معها. أما التعليم فقد دعا الشيخ إلى ضرورة إصلاحه وتطويره في ظل ما عانه العالم الإسلامي من تدهور على المستوى التعليمي، وقد حظي الجامع الأزهر بمصر بنصيب وافر من ذلك الإصلاح، فقد ذهب إلى القول بأنّ:(...إصلاح الأزهر أعظم خدمة للإسلام فإن إصلاحه إصلاح للمسلمين وفساده فساد لهم...)[1].

كما كان يرى أن هذا الإصلاح يحتاج إلى تعاون العلماء والخطباء والأئمة في جميع أنحاء العالم الإسلامي لإحياء الرابطة الإسلامية، وأنّ عليهم تدارك الخلاف،والأخذ بيد العامة إلى حيث يرشدهم كتاب الله وسنة نبيه الكريم[2]،وعليهم أن يتحلوا بالصفات العقلية والخلقية الحسنة، التي تضمن لهم إيقاظ الأمة من حالة السبات التي أشرفت على هلاكهم، وتثبيت الدين في قلوبهم، ومن ثم الحصول على القوة الروحية اللازمة التي تمكن من إنشاء جامعة إسلامية دينية لمواجهة أعداء الإسلام[3] .

يعدّ الشيخ "محمد رشيد رضا" أحد أنصار الجامعة الإسلامية، ولا يختلف مفهومه لها عن مفهوم "محمد عبده"، فقد بنى آراؤه على أساس إصلاح المجتمع الإسلامي عن طريق التربية والتعليم، واستقلال الفكر وحرية العقل في العلم ونبذ التقليد، وتصحيح عقيدة المسلمين وتهذيب أخلاقهم التي أفسدتها البدع والخرافات، بالإضافة إلى التحرر من التخلف والضعف الذي أصابهم و محاولة نقلهم إلى الحياة العصرية[4].وحدّد الغاية من الجامعة الإسلامية بقوله:(أن تكون هذه الدول كالدول المتحالفة

---

(2) رشيد رضا، المصدر السابق، ص 325.

(3) عبد القادر، المرجع السابق، ص 69.

(4) إحسان ثريا صرما، **السلطان عبد الحميد الثاني وسياسة الوحدة الإسلامية**، تر: كمال أحمد خوجة،ط1،د.د،العراق، 2014م،ص ص 43-44.

(5) المحافظة، المرجع السابق،ص ص 90-91.

بالنسبة للأمور الخارجية، وكالولايات المتحدة في الإصلاحات الداخلية كالتربية والتعليم ووحدة الأحكام والآداب واللغة) [1].

إن مفهوم الجامعة الإسلامية عند "محمد رشيد رضا" ينتمي إلى الدين أكثر من انتمائه إلى مجال السياسة[2].فهو يرى أنه يستحيل قيام وحدة سياسية بين المسلمين تحت إمرة وسلطة حاكم واحد، ومع ذلك لم يتخلى بشكل نهائي عن المضمون السياسي لها و الذي اعتقد أنه يمكن أن يتحقق بطريقة أخرى والتي تتمثل في الإصلاح الديني والإصلاح التربوي [3].

وقد ذهب في هذا الصدد إلى الإعتقاد بأن جمع المسلمين تحت راية واحدة لا يكون عن طريق المساجد والتكايا، وإنما بتأليف جمعية إسلامية تحت حماية الخليفة، يكون لها شعب في كل قطر إسلامي، ويكون موقع إجتماعهم في موسم الحج[4].من هذا المنطلق كان من أشد المدافعين عن الخلافة الإسلامية التي تعني عنده الإمامة العظمى، فهي تمثل بالنسبة له الجامعة الإسلامية، التي لن تتحقق-حسب رأيه-إلا إذا قامت الأولى بشكل صحيح. لذلك نجده يدعوا إلى إعادة إحيائها وإلى نبذ العصبية الجنسية، والمحافظة على الخلافة العثمانية، رغم ما أصابها من ضعف وإنحطاط شديدين عن طريق تبني سياسة الشورى في الحكم ومحاربة الحكم الإستبدادي، والعمل على مزج كل العناصر العثمانية (ترك، عرب، روم، أرمن...)في وحدة متكاملة. بينما كان يعتقد بأن للجامعة الإسلامية عقبات ومشاكل تمنعها من التحقق وقد لخصها في ثلاث نقاط[5]: أبرزها الإختلاف المذهبي بين السنة والشيعة إلى جانب عصبية الجنس واللغة وخاصة بين الترك والعرب فضلا عن النزعة الوطنية التي تتنافى مع جوهر الأخوة الإسلامية.

ضمّن الشيخ أفكاره وأراؤه اتجاه الجامعة الإسلامية في المجلة التي أصدرها والتي تعرف بمجلة "المنار"، حيث كانت منبرا للدعوة للإصلاح، وقد أوضح أهدافها في افتتاحية العدد الأول منها

---

(1) محمد رشيد رضا، "الإصلاح الديني المقترح على مقام الخلافة الإسلامية"،مجلة المنار،م1، ع40،ط2،مصر،1315هـ-1898م،ص ص 792-793.

(2) بن جلول هزرشي، **الشيخ محمد رضا والدولة العثمانية** ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر ، (مرقونة)، جامعة الجزائر،2003-2004م،ص 85.

(3) فهمي جدعان ،**أسس التقدم عند مفكري الإسلام في العالم العربي الحديث**،ط 3،دار الشروق،عمان،1988م،ص 270.

(4) هزرشي، نفسه،ص 84.

(5) نفسه،ص 87.

بقوله:(...تشخص هذه الأمراض الروحية وأسبابها، وتوضح عللها وتصف علاجها، وتجتهد في تأليف القلوب المتنافرة، ووصل العلائق المتقطعة، وجمع الكلمة المتفرقة ما استطاعت، وتحاول إقناع أرباب النحل المتباينة والمذاهب المختلفة أن الله تعالى شرع الدين للتحاب والتواد والبر والإحسان...)[1].

ب) الإتجاه القومي:

نظر هذا الإتجاه إلى الجامعة الإسلامية نظرة نقد ومعارضة، حيث اعتبرها وسيلة غير مجدية. الأمر الذي جعل قادته من مسلمين ونصارى يوجهون تحليلاتهم نحو اتجاه آخر غير الذي سلكه أنصارها، وذلك من خلال اقتراحهم لبدائل رأوا فيها الحل الأمثل لتفادي تلك المشاكل التي أعقبت الإستعمار، كالقومية العربية التي تؤكد ضرورة الإنفصال عن الدولة العثمانية، وإقامة وحدة عربية .

كان "عبد الرحمن الكواكبي"[2] أول من دعا إلى الوحدة العربية، التي تعد في مفهومه رابطة يكون فيها العرب قادتها. ورغم أنه يمثل أحد رواد الجامعة الإسلامية؛ حيث أولى اهتماما بالغا لتجسيدها. لكنه اختلف عن دعاتها الأوائل بمعارضته لأن تكون الدولة العثمانية من تتولى قيادتها في ظل تبنيها للخلافة الإسلامية ،وطالب بإقامة خلافة عربية قرشية[3].وقد اتخذ اللغة والتراث والتاريخ قاعدة يرتكز عليها في العمل على تحقيق الوحدة العربية، فقد كان يرى أن العرب (أقدم الأمم مدنية بدليل سمو لغتهم وسمو حكمهم وأديانهم، وهم أحرص الأقوام على جنسياتهم، ولغتهم هي لغة المسلمين ... وأحرص الأمم على احترام العهود عزة، واحترام الذمة الإنسانية واحترام الجوار شهامة وبذل المعروف والمروءة، وهم أنسب الأقوام لأن يكونوا مرجعا في الدين وقوة للمسلمين)[4].

أولى "الكواكبي "هذه الوحدة أهمية بالغة، حيث رأى فيها الوسيلة الوحيدة القادرة على مواجهة الزحف الأجنبي ومقاومته. لهذا كرّس جهوده لإصلاح المجتمع الإسلامي والعمل على استعادة العرب لمركزهم الطبيعي، ليكونوا قادرين على قيادة الإسلام وتجديده، وتزعم الخلافة الإسلامية. فقد سعى إلى

---

(1) محمد رشيد رضا،" فاتحة السنة الأولى للمنار"، مجلة المنار،م1، ع1،ط2،مصر،1315هـ-1898م،ص 12.

(2) **عبد الرحمن الكواكبي(1265-1320هـ=1849-1902م)**: الملقب بالسيد الفراتي، من الكتاب الأدباء ومن رجال الإصلاح الإسلامي، ولد وتعلم بحلب، أنشأ جريدة الشهباء وجريدة العطاء، وله من الكتب "أم القرى" و"طبائع الإستبداد ومصارع الإستعباد" ، وهو من كبار رجال النهضة الحديثة، أنظر: خير الدين الزركلي، المرجع السابق،ج3،ص298.

(3) موفق بني مرجة، **صحوة الرجل المريض أو السلطان عبد الحميد الثاني والخلافة الإسلامية**، د.ط، مؤسسة صقر الخليج ، الكويت، 1984 م، ص 135.

(4) الجندي، المرجع السابق، ص 142.

إصلاح الحكم إلى جانب دعمه لمبادئ الحرية ومحاربته للإستبداد[1].فضلا عن دعوته لنبذ الخرافات والبدع والتقليد الأعمى والرجوع إلى القرآن الكريم والأخذ بمنهج السلف الصالح. دون ان ننسى دعوته للتوفيق بين الدين والعلم [2].

كما وضع لهذه الوحدة تصورا أساسه عقد مؤتمر إسلامي، تحت عنوان مؤتمر النهضة الإسلامية، حيث تخيّل "الكواكبي" أنه انعقد في مكة المكرمة، بمشاركة نخبة من العلماء والمثقفين من المشرق والمغرب وصل عددهم اثنان وعشرون فاضلا منهم[3].وقد انعقد المؤتمر في اثني عشر اجتماعا غير اجتماع الوداع، عولجت فيها موضوعات متنوعة أبرزها الإنحطاط والفتور الذي أصاب الأمة فمنعها من أداء مهمتها التاريخية والحضارية، بل وجعلها عرضة للسيطرة الأجنبية. وقد أفرد لهذا المؤتمر كتابا كاملا يحمل عنوان "أم القرى"[4].

أما "عبد الحميد الزهراوي"[5] فقد وقف موقف المعارض للجامعة الإسلامية على عكس "عبد الرحمن الكواكبي" الذي دعا إلى الجامعة الإسلامية من خلال إقامة وحدة عربية. فهو يرى أنها غير واقعية ولا تعدوا أن تكون سوى (الإتفاق في كلمة واحدة هي القرآن كتاب الله جاء به محمد رسول الله).[6]كما يرى أنها مضيعة للوقت بسبب عدم إمكانية تحقيقها الواقعي، ولأنها تقوم على أسس غير موضوعية وغير عقلية. ويعود رفضه لها إلى سببين رئيسيين: الأول ويتمثل في القوة التي يملكها الغرب

---

(1) دعا الكواكبي إلى محاربة الإستبداد من خلال كتابه "طبائع الإستبداد ومصارع الإستعباد" ، حيث عبر فيه عن رأيه المعارض للإستبداد الممارس من طرف الحكومات الإسلامية تجاه الرعية. فبعد أن أعطى له تعريفا لغويا واصطلاحي، عمد إلى تحديد أشكال الحكومة المستبدة، فتبيان مظاهر الإستبداد وأسبابه. كما ركز في حديثه على العلاقة بين الإستبداد والدين والعلم وغيرها من مبادئ الإسلام، ليعالج في الأخير سبل التخلص منه، أنظر: عبد الرحمن الكواكبي، **طبائع الإستبداد ومصارع الإستعباد**، د.ط ، كلمات عربية للترجمة والنشر، القاهرة،2011م.

(2) يبدو أن الكواكبي قد اقتفى في مسيرته الإصلاحية خطى الإمام محمد عبده وتأثر بالسيد جمال الدين الأفغاني، وهذا ما يجعله أحد دعاة الإتجاه الإصلاحي التجديدي، ولكن دعوته للوحدة العربية جعلت منه أبرز دعاة الإتجاه القومي.

(3) صلاح زكي أحمد ،**أعلام النهضة العربية الإسلامية في العصر الحديث**،ط1،مركز الحضارة العربية،القاهرة،2001 م، ص 53.

(4) السيد الفراتي، **أم القرى**، د.ط، المطبعة المصرية بالأزهر،القاهرة،1931م.

(5) **عبد الحميد الزهراوي(1272–1334هـ=1855–1916م)**: من زعماء النهضة السياسية في سورية، ولد بحمص، عمل في الصحافة، حيث أصدر جريدة "الحضارة"، وانتخب رئيسا للمؤتمر العربي الأول الذي انعقد في باريس، أعدمه كمال باشا سنة 1916م ،أنظر: الزركلي، المرجع السابق،ج3،ص288 .

(6) عبد الحميد الزهراوي، "السنوسية والجامعة الإسلامية"، مجلة المنار،م10، ع8،ط2،مصر،1325هـ-1907م،ص 586.

والتي وقفت حاجزا أمام وحدة المسلمين وستظل مهما حاولوا، بينما يكمن السبب الثاني في الواقع المعاش والذي تسوده التفرقة والإنقسام[1].

كما فنّد فكرة أن الجامعة الإسلامية يتحكم في تحقيقها الدّين، فهو يرى أن رابطة الدين لا يمكن لها أن توحد كلمة المسلمين، كونها لم تمنع من قيام الحروب بين دول تدين بدين واحد.[2]ولا يعني ذلك أنه لم يكن يرى للدين دور بل بالعكس، إلا أنه كان يرى عدم تمكن الدين من منع من الإختلاف الديني والسياسي. وهنا يتساءل حول كيفية تكوين رابطة إسلامية في ظل ذلك الإختلاف الذي ساد المجتمع الإسلامي بعد خلافة عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما[3] .

قدّم "عبد الحميد الزهراوي" بديلا للجامعة الإسلامية والذي تمثل في القومية العربية، إذ دعا العرب إلى الوحدة من خلال حثهم على استنهاض ما سماه بالفكر العمومي، والروح العمومية، ليكون للأمة إرادة ولترفض الذّل والهوان، وتتعاون في المصالح العامة، وتحارب الإستبداد وتنبذ الجمود، وتطلق طاقاتها في التجارة والزراعة والصناعة. دون أن يحث على الإنفصال عن الدولة العثمانية التي دعا إليها "عبد الرحمن الكواكبي"،شريطة أن يحتل العرب موقعا هاما فيها من حيث العدد والإمكانيات [4].

يتفق "نجيب عازوري"[5] مع "عبد الحميد الزهراوي" في مناهضة الجامعة الإسلامية، ولكن بطريقة مختلفة [6].حيث رد عليها بشكل عملي، وذلك من خلال إنشائه لما أسماه "عصبة الوطن العربي" في باريس، والتي هدف من خلالها إلى تحرير الولايات العربية من الحكم التركي. وقد بدأت العصبة بنشاطها في هذا المجال بنشرها لحوالي خمسين نداءا موجها إلى العرب تدعوهم إلى الثورة على

---

(1) ناجي علوش، **مدخل إلى قراءة: عبد الحميد الزهراوي حياته–مؤلفاته–أفكاره**، ط1،منشورات وزارة الثقافة، دمشق ، 1995م،ص 66.

(2) محمد راتب الحلاق، **عبد الحميد الزهراوي 1288–1334هـ/1871–1916م دراسة في فكره السياسي**، ط1،إتحاد الكتاب العرب،دمشق،1995م،ص 165.

(3) الزهراوي، المصدر السابق، ص 586.

(4) علوش، نفسه، ص ص 61-62.

(5) **نجيب عازوري (ت1334هـ=1916م)**: سياسي مسيحي لبناني، من الكتاب، تخرج بمعهد الدراسات العليا في باريس وتوظف بالقدس، جاهر بالدعوة إلى استقلال سورية وفصلها عن الدولة العثمانية، أنظر: الزركلي، المرجع السابق،ج8،ص12.

(6) رغم الإتفاق الذي حدث بينهما فيما يخص الجامعة الإسلامية ،إلا أنهما يختلفان أشد الإختلاف في عدة جوانب، ذلك أن نجيب عازوري كان يدين بديانة المسيحية رغم انتمائه العربي، على عكس عبد الحميد الزهراوي المسلم العربي. فلا مجال للتوافق الكلي بينهما .

الأتراك فكان بذلك أول من دعا صراحة إلى قيام دولة عربية مستقلة تقوم على أنقاض الدولة العثمانية التي توشك على الإنهيار[1].

كما قام "عازوري" بنشر كتاب باللغة الفرنسية يحمل عنوان « Le Réveil de la Nation Arabe » . " يقظة الأمة العربية"، حيث دعا فيه إلى فصل الولايات العربية عن الدولة العثمانية، كما دعا فيه إلى إقامة خلافة عربية تكون الحجاز مقرا لها، وأن تكون الشام والعراق دولة عربية موحدة عصرية. هذا وقد طالب بتوحيد الكنائس الكاثوليكية تحت إسم الكنيسة الكاثوليكية العربية[2].إلى جانب ذلك الكتاب أصدر رفقة مجموعة من الكتّاب الفرنسيين مجلة شهرية هي « L'indipendence Arabe »،"استقلال العرب"، القصد منها التعريف بالبلاد العربية وإثارة اهتمام الناس بقضية تحريرها. إلا أنه لم ينجح في مسعاه هذا نتيجة الرقابة العثمانية[3].

2. المفهوم الأوروربي:

استخدم الأوروبيون كلمة"Panislamisme "للدلالة على الجامعة الإسلامية التي شكلّت في نظرهم خطرا كبيرا يتهددهم، لذلك انبرى رجال السياسة الذين كانت لهم مكانتهم في تاريخ الإستعمار إلى مهاجمتها بمختلف الوسائل ومحاولة تشويهها، كما كان للصحافة أيضا دور فعال في تأجيج الرأي العام حول هذه المسألة، الأمر الذي أدى إلى تكوين عدة مفاهيم غربية للجامعة الإسلامية اتفقت جميعها على ضرورة القضاء عليها .

أ)رجال السياسة:

تأتي إنجلترا في المرتبة الأولى من بين الدول التي عارضت فكرة الجامعة الإسلامية باعتبارها أكبر دولة استعمارية خلال القرن التاسع عشر مستخدمة مختلف الوسائل للقضاء عليها، ولعل أبرز من مثلها من الشخصيات السياسية "اللورد كرومر"، المعتمد البريطاني في مصر سنة (1883-1907م)،فقد كان أول من ألب أوروبا على الجامعة الإسلامية[4]،وحرص كل الحرص على تشويهها وتبيان خطرها في كل تقاريره السنوية .

---

(1) صرما، المرجع السابق، ص 18.

(2) المحافظة، المرجع السابق، ص 134.

(3) نفسه ، ص 135.

(4) محمد المصري، المرجع السابق، ص 101.

يعدّ "اللورد كرومر" من أشد خصوم الجامعة الإسلامية وهذا ما يظهر جليا في تقريره السنوي عن مصر سنة 1906م،والذي رفعه إلى وزارة الخارجية البريطانية، حيث قال عنها بأنها (اجتماع المسلمين في العالم كله على تحدي الدول المسيحية ومقاومتها والتي من شأنها أن تؤدي إلى حوادث متفرقة، أبرزها إضرام نار التعصب الديني في أنحاء العالم)[1]،لذلك دعا الأمم الأوروبية إلى ضرورة مراقبتها. فهي في نظره تهدف إلى بث البغضاء والتشاحن العرقي والديني. كما أنها تقوم على إحياء النظم والمبادىء التي وضعت منذ أكثر من ألف عام لإرشاد وتوجيه مجتمعات بدائية تنطوي على الإعتراف بالاسترقاق، وهذه المبادىء لم تعد ملائمة للوقت الحاضر، وغير مناسبة للآراء الحديثة. مما أدى إلى جمود وتخلف جميع البلاد التي دان أهلها الدين الإسلامي[2].لكن بالرغم من ذلك إلا أنه اعترف بأن الأفغاني كان من أشهر دعاتها وأقواهم صوتا وأكثرهم سعيا وأشدهم اضطلاعا، من خلال محاولته لجمع كلمة المسلمين[3].ولكنه في نفس الوقت ظل غير مقتنع بميل المسلمين وخاصة المصريين إليها. حيث كان يرى استحالة إتحاد المسلمين ،لكونه واثق من قدرة أوروبا على التصدي لهذه الحركة .[4]

اتخذ "اللورد كرومر" في ظل موقفه المعارض عدة وسائل في سبيل القضاء عليها، ومن جملتها حرصه الشديد على عدم تعليم المصريين، حيث قام بتحويل المدارس في القرى والكتاب بالجوامع إلى أماكن مهجورة وأفقد الجامع الأزهر الأهمية التي كان له[5]؛ذلك أنه كان يرى أن تعليمهم سيمنح فرصة للتخلص من الجهل. الأمر الذي سيؤدي بهم حتما إلى مناشدة الجامعة الإسلامية ومن ثم يسهل عليهم اللجوء إلى الثورة ضد الإنجليز، وهذا ما لا يجب أن يحدث حسب رأيه. كما لجأ إلى دعم الأفكار المناهضة للإسلام، وفي نفس الوقت سعى إلى كسب ود بعض المصلحين ظنا منه أنه إذا تمكن من استمالة هؤلاء إليه فإنه قد كسب حليفا قويا ضد الجامعة الإسلامية[6].

---

(1) محمد رشيد رضا، "قول اللورد كرومر في الجامعة الإسلامية والشريعة"،مجلة المنار،م 10، ع2،ط2،مصر،1325هـ-1907م،ص 215.

(2) نفسه ،ص ص 216-217.

(3) نفسه ،ص 218.

(4) محمد رشيد رضا ، **تاريخ الأستاذ**...،المصدر السابق، ص 216.

(5) حافظ محمد جمال الدين، المرجع السابق، ص 220.

(6) من بين المصلحين الذين سعى اللورد كرومر التقرب منهم محمد عبده؛ إلا أن هذا الأخير أبى أن يكون متحالفا مع الأطماع الأوروبية ،واختار الدفاع عن الدولة العثمانية وعن الجامعة الإسلامية، أنظر: نفسه،ص 222.

لم يكن "اللورد كرومر" الرجل السياسي الوحيد في إنجلترا الذي هاجم بعنف الجامعة الإسلامية، بل كان هناك آخرون ولعل أبرزهم اللورد إدوار جراي وزير خارجية بريطانيا، الذي قال عنها في مجلس العموم البريطاني:(أنها ليست إلا بؤرة للتعصب الديني)[1].أما على مستوى فرنسا فقد برز الوزير "هانوتو" الذي عمل هو الآخر على مواجهة الجامعة الإسلامية الذي قال عنها بأنها تستهدف تحدي قوات الدول المسيحية ونفوذها في العالم الإسلامي كما حاول الطعن فيها من خلال قوله:(شأن المسلمين اليوم وظهور دعوة فيهم إلى توحيد كلمة المسلمين وجمع السلطة الدينية والسياسية في شخص واحد في جميع البلاد الإسلامية).[2]

ب) المفكرون والكتاب:

تعدّ الدعاية الإعلامية أشدّ الوسائل تأثيرا على الرأي العام، الأمر الذي أدى إلى ظهور عدد من المفكرين والكتاب الغربيين الذين سعوا من خلال مقالاتهم وكتاباتهم وآرائهم إلى تشويه الجامعة الإسلامية و محاولة القضاء عليها معتمدين في ذلك على أقوى الأسلحة والمتمثلة في الدعوة الإقليمية القائمة على الجنسية والوطن والعرق، وأبرز هؤلاء ينتمون في غالبيتهم إلى فئة اليهود والنصارى الذين تواجدوا في الدولة العثمانية كرعايا أجانب، ويرجع سبب معارضتهم إلى تخوفهم من خطر قيام وحدة سياسية بين المسلمين فتكون بمثابة كيان يهدد مصالحهم في الدولة. لذلك تنادوا إلى حركة قومية عربية كبديل للجامعة الإسلامية[3].

أما اليهود فقد كان لهم دور كبير في تزكية النعرة القومية حيث انقسم نشاطهم إلى قسمين [4]: الأول وهو الذي كان يمارس في أوروبا والذي تبناه اليهود المستشرقون، أما الثاني فقد كان يمارس داخل الدولة العثمانية وتبنّاه غير المستشرقين من اليهود. وقد كان لهذا القسم الدور البارز في مناهضة الجامعة الإسلامية من خلال كتّابهم الذين استحوذوا على الصحف في البلاد العربية التي كانت تحت حكم الدولة العثمانية فقد أخذوا يبرهنون على أن الأتراك كانوا متقدمين في الحضارة تقدما بينا، وأنهم لم يكونوا أهل حرب وضرب فقط كما يزعم بعض المؤرخين. كما دعوا إلى القومية التركية حيث نادوا

---

(1) حافظ محمد جمال الدين، المرجع السابق، ص 191.

(2) محمد رشيد رضا، **تاريخ الأستاذ**... ،ج 2،المصدر السابق، ص453.

(3) حافظ محمد جمال الدين، المرجع السابق ،ص 98.

(4) محمد حرب، **السلطان عبد الحميد الثاني آخر السلاطين العثمانيين الكبار 1658-1336هـ/1846-1918م**،ط 1،دار القلم،دمشق-بيروت،ص232.

بضرورة تتريك البلدان التابعة للدولة العثمانية. وقد اشتهر منهم القسم الأول كل من "لاملي دافيز"،و"ليون كاهون" و"فامبري" بالإضافة إلى المفكر اليهودي الفرنسي "إميل دور كايم" الذي عارض وناهض الجامعة الإسلامية من خلال الدعاية التي كان يقوم بها في الصحف الأوروبية[1].أما من القسم الثاني فقد اشتهر "موتيز كوهن" الذي أسهم في التخطيط للسياسة العنصرية الطورانية [2] من خلال كتاباته في الصحف والمجلات التركية.

لم يقتصر عمل الأوروبيين في ظل سعيهم للقضاء على الجامعة الإسلامية على الدعوة إلى القومية التركية،بل تعدّت ذلك إلى دعوتهم للقومية العربية، وقد بدأت هذه الفكرة ببداية المدارس التنصيرية والجمعيات الأدبية والعلمية،على أيدي النّصارى والتي كانت في معظمها إنجليزية وفرنسية وأمريكية، وقد ارتكز نشاطها في كل من الشام ولبنان بموجب تواجد أكثرية من الأقليات هادفة إلى فصل العرب عن الدولة العثمانية وبالتالي الوقوف كحاجز أمام أي محاولة للتكتل[3]،من خلال إثارتهم للفتن في الدولة وفي الولايات التابعة لها، والتجسس عليها لصالح دولهم على المستوى السياسي والعسكري، بالإضافة إلى بعثهم لروح التفرقة بين رعاياها[4].وقد اشتهر في هذا الصدد "ولفريد سكاون بلنت"،الذي سعى إلى الإعلان عن استقلال سورية ومصر عن الدولة العثمانية قصد الوقوف كحاجز أمام توحيد العالم الإسلامي تحت قيادة الدولة العثمانية.كما اقترح لذلك إقامة دولة عربية تكون فيها الإدارة للإنجليز،دون أن ننسى تحريضه للحركات القومية في مصر خلال تواجده بها. وقد ضمن تلك الفكرة في كتابه المعنون ب:"مستقبل الإسلام" الذي ظهر عام 1881م [5].

كما لجأت الدول الأوروبية ولاسيما بريطانيا وفرنسا إلى استغلال الصحف والجرائد العربية لصالحها خاصة تلك التي كانت تصدر في عقر دارها، من خلال شنّها لحملة حقيقية مؤيدة لإنشاء خلافة عربية، والدفاع عن الفكرة التي مفادها أن العثمانيين قد اغتصبوا الخلافة وأنها يجب أن ترد إلى

---

(1) حافظ محمد جمال الدين ، المرجع السابق،ص ص 187-188.

(2) **الطورانية:** إصطلاح من أصل فارسي وهو يشير بوجه عام إلى المناطق الواقعة شرقي إيران. تقوم فكرة الطورانية على أساس التأليف بين الناطقين باللهجات التركية أولا ثم تكوين إتحاد حلفي منهم بينهم وبين الأمم التي أصلها طوراني، وهي حركة تركية بحتة تهدف إلى إعلاء القومية التركية. أنظر: سهيل صابان، **المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية**، مراجعة: عبد الرزاق محمد حسن بركات، د.ط، مكتبة الملك فهد الوطنية،الرياض،2000م،ص 148.

(3) بني مرجة، المرجع السابق، ص 168.

(4) حرب، المرجع السابق، ص ص 242-243.

(5) روبير مانتران، **تاريخ الدولة العثمانية**، ت:بشير السباعي،ط1،دار الفكر،القاهرة-باريس،1992م،ص 176.

العرب الذين تعود إليهم قانونا[1].فنجد على سبيل المثال جريدة "المقطم" التي تعد لسان حال البريطانيين، وجريدة "الأهرام" التي كانت تعد لسان حال الفرنسيين، التي سعت كل منهما إلى تزكية القومية العربية والإنفصال عن الدولة العثمانية، والأهم من ذلك سعيها لمهاجمة الجامعة الإسلامية[2]. فقد اتفقتا على أن الدعوة إلى هذه الأخيرة باسم الدين مضّرة وغير موصلة إلى الغاية وأنه لا سبيل إلى ترقي الأمة الإسلامية إلا باتباع خطوات أوروبا[3].

كما كانت المجلات من بين الوسائل التي وظفتها الدول الأوروبية من أجل القضاء على الجامعة الإسلامية، فكانت مجلة "العالم الإسلامي" أبرزها، إذ ضمنت مقالات عديدة تهدف إلى تشويه صورة الجامعة. وقد اشتهر فيها مديرها العام الكاتب الفرنسي "لوشاتولييه" من خلال المقالة التي عنونها ب " Le panislamisme et le Progrés "[4]. والمتمعن في هذا المقال يجد أن الكاتب قد أعطى مفهوما غربيا بمعنى الكلمة للجامعة الإسلامية،فهو يرجع ظهورها إلى الإخفاقات السياسية للعالم الإسلامي كما اعتبرها وسيلة تهدف بالدرجة الأولى إلى إثارة الشعوب، فضلا عن كونها تعد في نظره خطرا يهدد مصالح الدول الغربية الأمر الذي يستدعي إتحاد الأوروبيين للقضاء عليها.

لكن ذلك لم يمنع من توفر المجلة على بعض المقالات التي أنصفت الجامعة الإسلامية ولو بنسبة قليلة، فالمقالة المعنونة ب: "La Panislamisme et le Panturquisme " لمؤلفها الذي اختار حرف X للدلالة على إسمه كانت إحدى تلك المقالات؛ حيث أشّاد بالدور البارز الذي قام به دعاة الجامعة الإسلامية خاصة "الأفغاني" و"محمد عبده" من أجل تحقيقها، كما لم يهمل في مقالته تلك دور السلطان "عبد الحميد" جهوده في إرساء دعائم الجامعة الإسلامية لاستعادة مجد الخلافة المتهاوي من جهة والتصدي للخطر الأجنبي من جهة أخرى. لكنه أبرز في نفس الوقت الفكرة التي مفادها أنّ دعاة الجامعة لم يحددوا لها تعريفا دقيقا ولا غايات واضحة لذلك لم تكن هناك نتائج ملموسة.

---

(1) مانتران، المرجع السابق، ص 176.

(2) أنور الجندي،**العالم الإسلامي والإستعمار السياسي والإجتماعي والثقافي**،ط2،دار الكتاب اللبناني،بيروت،1983م،ص184.

(3) محمد رشيد رضا، "الجامعة الإسلامية وآراء كتاب الجرائد فيها"،مجلة المنار،م2، ع 22،ط2، مصر،1317هـ-1899م،ص ص 343-342.

(4) Le chatelier ,A ;"Le Panislamism et le Progrés" ,R.M.M ,V 01 , n04, bureaux de la revue, Paris ,février 1907 ,p465-471

المبحث الثاني:
البعد الإصلاحي للجامعة الإسلامية في فكر السيد جمال الدين الأفغاني

المطلب الأول: الإصلاح الفكري

1. الإصلاح الديني

أ) الرجوع إلى تعاليم الإسلام الصحيحة.

ب) التجديد الديني.

2. التوجيه والإرشاد

أ) إلقاء الدروس والمحاضرات.

ب) إنشاء الجمعيات والكتابة في الصحف.

المطلب الثاني: الإصلاح السياسي

1. التحرر من الحكم الإستبدادي

أ)-إقرار العدل.

ب)-إقرار مبدأ الشورى.

2. مقاومة الإحتلال الأجنبي.

أ)-بعث الروح النضالية

ب)-تحقيق الوحدة الإسلامية

عاش "جمال الدين الأفغاني" في ذلك الزّمن الذي كان فيه العالم الإسلامي يتخبط في ظلمات الجهل والإنحطاط،على عكس العالم الأوروبي الذي تجاوز تلك التحديات منذ وقت طويل. ومن خلال تلك الرحلات التي قام بها عبر القارات، حيث زار كلا من طهران ومصر والحجاز والهند وفرنسا والنمسا وإنجلترا وروسيا وتركيا وأفغانستان[1] اكتسب ثقافة إسلامية وسياسية [2]ساهمت في تكوين مواقف بارزة وأفكار إصلاحية،دعا من خلالها إلى الإلتفاف حول الجامعة الإسلامية التي كانت تمثل بالنسبة له وسيلة إصلاحية بالدرجة الأولى. وانطلاقا من ذلك الواقع المتدهور للمسلمين تمحورت أراؤه الإصلاحية حول الفكر والسياسة.

الإصلاح الفكري:

1. الإصلاح الديني:

يعدّ الدين جانبا هاما من جوانب وعينا الإجتماعي وبه تحيا المجتمعات وتسلك سبيل التقدم والرقي الحضاري، لذلك وجه "الأفغاني" دعوته الإصلاحية نحو الإصلاح الديني حيث أكدّ أهميته ودوره في نهضة المجتمع الإسلامي وذلك بالتنويه إلى حركة الإصلاح الديني في أوروبا وأثرها في تقدم هذه الأخيرة ورقيها في عدة مجالات[3].

أ) الرجوع إلى تعاليم الإسلام الصحيحة:

كان "الأفغاني" يدرك ما أصاب المسلمين من جهل في الدين وتخاذل وذل، وإقبال على الخرافات والبدع فضلا عن ممارسة الطقوس والشعائر المنافية تماما للإسلام.بالإضافة إلى إدعاء بعض الأشخاص للعلم وما هم بعلماء وبشيوخ الطرق الصوفية وما هم بأوفياء ومخلصين لها،حيث لم يكن همهم سوى

---

(1) يبدو أن السيد الأفغاني لم يزر منطقة المغرب العربي، حيث لم تتوفر لدينا معلومات تثبت تواجده بها.

(2) كانت كل من أفغانستان ومصر من أهم البلدان الإسلامية التي خاض فيها الأفغاني غمار السياسة، حيث تولى في البلد الأول منصب رئاسة الوزراء خلال عهد الأمير محمد العظم، أما في مصر فقد كان وراء إنشاء الأحزاب الوطنية والتي كانت معارضة للحكم الإستبدادي. أنظر: قنان، المرجع السابق، قرص مضغوط.

(3) إن استدلال الأفغاني في دعوته إلى الإصلاح الديني في المجتمعات الإسلامية بالإصلاح الديني في أوروبا لا يعني أنهما متطابقان ولهما نفس الأهداف، ذلك لأن الظروف الدينية في أوروبا تختلف عن الظروف في العالم الإسلامي. إذ كانت الكنيسة فيها تستحوذ على السلطة الدينية والزمنية معا، إلى جانب وقوفها في وجه كل حركة فكرية وعلمية. وبالتالي جاء هذا الإصلاح كثورة عليها والبابا لإزالة الفساد الذي لحق بها، بينما الإصلاح الديني في العالم الإسلامي جاء كتجديد إسلامي يهدف إلى إعادة ربط خيوط الإتصال وتوثيقها بالمنابع الأصلية للإسلام من الكتاب والسنة وذلك من أجل الارتقاء بالأمة الإسلامية، وإزاحة الشوائب التي علقت بالشريعة ،أنظر: عبد الكريم علي كابان، **الإصلاح الديني في المسيحية مقارنة بالإصلاح الفكري في الإسلام**، ط 1،دار دجلة ،المملكة الأردنية،2010م ،ص 152 وما بعدها.

المفاخرة فأدخلوا بذلك التعاليم الهدامة والعقائد الباطلة في الإسلام[1].لذلك دعا إلى تطهير الدين من مختلف الشوائب التي علقت به من خلال الرجوع إلى تعاليم الإسلام الصحيحة. حيث كان يدرك بأنه ما من أمة يمكن أن تنهض إلا عن طريق التنشئة الدينية الصحيحة وأن هذه الأخيرة لا تكون مجدية إلى على أساس تصحيح العقائد وتقويم الأخلاق، ذلك أن الأفكار الغربية المتسربة إلى المجتمعات الإسلامية عن طريق الإحتلال الأجنبي قد أفسدت تلك العقيدة إفسادا كبيرا.

يعود سبب تدهور الحضارة الإسلامية وضياع مجد المسلمين حسب "الأفغاني" إلى إهمال الدين والجهل بأصول حكمه. فهو على يقين بأن الذي يرفع شأنهم ويحي مجدهم وعزتهم وينهض هممهم إنما هو(دين قويم الأصول شامل لأنواع الحكم باعث على الألفة داع إلى المحبة مزّك للنفوس)[2].لذلك دعا المسلمين إلى تمسكهم بتعاليم الإسلام؛ لأن ذلك يمنح لهم الحرية من الخمول والكسل والتواكل والذل والمسكنة واليأس والرضا بالخضوع والعبودية لغير الله. كما دعا إلى الرجوع إلى كتاب الله والإستضاءة بنوره والعمل بمبادئه والإحتكام إليه؛ فلقد تحرّى الحلول الناجعة لعلاج أمراض المجتمع فلم يجد أمامه من خيار لإنقاذ الأمة الإسلامية إلا بالعودة إلى الينابيع الصافية للإسلام الأصيل، وذلك لن يحدث إلا إذا توّضح القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة توضيحا صحيحا؛ لهذا دعا إلى بعث القرآن وبث تعاليمه الصحيحة وشرحها على وجهها الثابت والصحيح[3].

كان الفهم الصحيح للنّص الديني من بين القواعد التي تستند عليها الحركة الإصلاحية التي دعا إليها "الأفغاني"، فقد أصبح المسلمون في اعتقاده يفسرون النصوص التي حملها القرآن الكريم أو السنة النبوية الشريفة تفسيرا سلبيا وخاطئا لاسيما تلك المتعلقة بالقضاء والقدر. الأمر الذي يجعلهم لا يتحركون لطلب المجد أو التخلص من أي ذل بحجة أن ذلك مشيئة الله تبارك وتعالى وقضاءه وقدره، فضلا عن فهمهم لبعض النصوص الدالة على فساد آخر الزمان مما يثبط من عزيمتهم ويجعلهم يرضخون للأمر الواقع دون محاولة الخروج من ذلك[4].

---

(1) فضل معبود وآخرون، **السيد جمال الدين الأفغاني وخدماته الدينية والأدبية**، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في الدراسات العربية، جامعة شاور،1980م،ص277.

(2) جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده ،**العروة الوثقى**،تق:سيد هادي خسرو شاهي،ط3،مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، 2001م ،ص115.

(3) قدري قلعجي،**ثلاثة من أعلام الحرية جمال الدين الأفغاني محمد عبده سعد زغلول**، د.ط،دار الكتاب العربي،د.ت، ص22.

(4) عبد القادر المغربي، **جمال الدين الأفغاني ذكريات وأحاديث**،ط3،دار المعارف،القاهرة،1987م،ص 103.

لذلك كان يؤكد دوما على عظمة القرآن الكريم ومنزلته بوصفه كتابا سماويا هاديا ودليلا خالدا جادت به حكمة السماء، فنزل على قلب الرسول الأمين دواءا شافيا وعلاجا ناجعا للألام البشرية وتسكينا لعذابها وتطهيرا لأبدانها. فمتى حسن فهمه والعمل به، صارت الأمة الإسلامية أمة ذات مدنية وعزّة[1].ولا يجب أن تتخلى عن التدبر في معانيه والتأمل في باطنه بمجرد صعوبة تفسير بعض الآيات القرآنية. من هنا كان "الأفغاني" يدعو كل من لقيه من المسلمين إلى ضرورة الرجوع إلى تعاليم الإسلام الصحيحة من خلال تفسير واستنباط العبر والمواقف من الكتاب والسنة. وإذا أردنا أن نعرف تلك المكانة التي حظي بها القرآن الكريم وتأثيره الإيجابي على المجتمع الإسلامي، فإنه لابد علينا من العودة إلى الماضي أيام عهد النبوة ثم الخلافة الراشدة.

ب) التجديد الديني:

كرّس "الأفغاني" جهوده في ظل دعوته إلى التجديد الديني إلى محاربة التقليد الأعمى والتمسك بتلابيب الماضي، حيث نادى بالأخذ بالبرهان العقلي وتجنب الأخذ الكلي عن السلف أو الأجانب، كما نادى إلى أن تكون عقائد الأمة مبنية على البراهين القويمة والأدلة الصحيحة حتى لا تصاب العقول بالتخلف والجمود الفكري؛ ذلك أن هذا الأمر يمثل في نظره حاجزا يمنع المسلمين من التقدم الحضاري. وعلى ضوء هذه الرؤية نادى بضرورة فتح باب الإجتهاد الذي رأى فيه الوسيلة الوحيدة القادرة على محاربة التقليد، لكون الإسلام دين جدّ واجتهاد، وما دام أهله ذوي اللسان العربي وليسوا بمجانين وعارفين بسيرة السلف فإن ذلك لا يمنع منه. وقد كان بدوره يلجأ إلى الأخذ بأحسن الأقوال بعد أن يرد الضعيف منها ويجتهد في الإستنباط، ويتناول الأقرب للصواب وما يقبله العقل[2].

كما دعا إلى الإقتباس من الغرب شريطة إخضاعه للتمحيص والإمعان فيه، ومطابقته مع الشريعة الإسلامية فإذا كان يتلاءم ومبادىء الإسلام جاز الأخذ منه[3]. فهو يعتقد أن على المسلمين الإرتقاء بالمعارف العلمية للتمكن من التصدي للخطر الأجنبي ولن يتأتى ذلك إلا باقتباسها من الغرب . وقد ذكر"عبد القادر المغربي" في هذا الشأن أن "الأفغاني"لم يعارض فكرة الأخذ من الحركة

---

(1) رشيد رضا، **تاريخ الأستاذ**...،المصدر السابق، ص82.

(2) الأفغاني و عبده، المصدر السابق، ص150 وما بعدها.

(3) قلعجي، المرجع السابق، ص20.

الدينية الأوروبية التي شهدتها أوروبا في يوم من الأيام، ليس من خلال البحث عمن قام بها أو التمعن في مدى حاجة أهلها لها، وإنما من خلال ما يخدم المسلمين في نهضتهم وحركتهم الإصلاحية[1].

من ناحية أخرى نادى "الأفغاني" بضرورة التوفيق بين الدين والعلم[2]،والأخذ بالعلوم الغربية بما يطابق روح العصر الحاضر، وذلك للتحرر من التخلف والجمود الذي علق بفكر المسلمين، وكسر عزلتهم وإظهار مرونة الإسلام ومدى قابليته للتكيف ومتطلبات العصر، وإثبات أولوية العالم الإسلامي بتلك الحضارة، كيف لا وهم الذين أخذوا منا القواعد الأساسية، ليطوروها فيما بعد. فلقد آمن بأن القرآن الكريم هو المنهل العذب لجميع المعارف والعلوم، وأن كل حقيقة علمية في هذا الكون هي لسان حال القرآن وترجمان مكنوناته، وأن آياته لم تترك منحى من مناحي الحياة البشرية إلا وطرقته، ولم تترك شأنا من شؤون الحياة إلا ناقشته. وفي مقالة له تحمل عنوان "دعوة الإسلام الدين والحقائق العلمية " [3] ،أشار إلى بعض الملامح العلمية للآيات الشريفة متقدّا أن القرآن يتوافر على حقائق علمية جمة من جملتها كروية الأرض وثبوت الشمس وكيفية فناء العالم.

2. التوجيه والإرشاد:

كانت الخطابة والكتابة والتأثير الشخصي فضلا عن إنشاء الجمعيات من الأساليب التي اعتمد عليها "الأفغاني" في توجيه وإرشاد المجتمعات الإسلامية نحو النهوض والتقدم والتكتل والتعاون، لما لتلك الوسائل من أهمية وتأثير بالغين؛حيث كان يهّم بكتابة المقالات في الجرائد ويقوم بالتدريس في شكل حلقات بالإضافة إلى إلقائه لمحاضرات في مناسبات عامة كما كان يخطب في الناس ويكتب كتابات ويبعث برسائل إلى أصدقائه وتلامذته والعلماء[4].

أ) إلقاء الدروس والمحاضرات:

عمدّ "الأفغاني" إلى إلقاء الدروس العلمية والتثقيفية كالمنطق والفلسفة والتصوف وأصول الفقه مع تركيزه على العقيدة الإسلامية. هادفا إلى خدمة الأمة الإسلامية حيث نجده يطالب بحقوقها

---

(1) المغربي ، المصدر السابق، ص 101.

(2) قلعجي، المرجع السابق، ص20.

(3) الأفغاني و عبده، المصدر السابق، ص138.

(4) كان جمال الدين الأفغاني شيخا ملما بعدة لغات أهمها: الأفغانية والعربية، الفارسية والهندية والتركية وحتى الفرنسية التي لم يتعلمها إلا في كبره، ولم يكن يصعب عليه التنقل في الدول الأجنبية، وهذا ما يفسر لجوءه إلى هذه الوسائل. أنظر: لطف الله خان ميرزا، **حقيقة جمال الدين الأفغاني**، تر: عبد النعيم حسنين،ج2،ط1،دار الوفاء، المنصورة، د.ت، ص 44.

ويدفع الظلم عنها ويهاجم من اعتدى عليها فكان بذلك مثالا يقتدى به. هذا وقد بيّن للمسلمين مواضع بؤسهم ومواطن ضعفهم وتخلفهم، وفي بالمقابل وضّح لهم كيفية علاجها. وقد نشط في هذا المجال من خلال اللقاءات الفكرية التي كانت تجمعه وكبار الشخصيات العلمية والدينية وعظماء الرجال من مفكرين ومثقفين في بيته و في أماكن التجمع التي عادة ما تتم فيها تلك اللقاءات كالمقاهي خاصة لما تواجد بمصر[1].حيث سعى إلى إعدادهم وتوجيههم وحثهم على اقتحام ميدان الكتابة وإنشاء الصحف ومعالجة قضايا الأمة والدفاع عن مصالحها وإلى محاربة الخرافات وكل ما أفسد المسلمين في دينهم وأخلاقهم، فشكل بذلك شبه مدرسة غير نظامية.

كانت طريقته في التدريس تتمثل في تحديد الموضوع الذي سيدرسه من خلال إحدى الكتب التي تكون له بمثابة مرجع، ثم يقوم بشرح الموضوع شرحا مستفيضا وليس قراءة أو تلقينا لما في الكتاب. وهذا دليل على أنه كان يسعى إلى الإرتقاء بطلابه من مرحلة الفهم والاستيعاب للموضوع إلى مرحلة التحليل والنقد مما في الكتاب، وتمكين الطلبة من اكتساب حاسة النقد عن دراية وفهم وإحاطة تجنبا للوقوع في آفة التلقين والترديد دون فهم واستيعاب[2].

ب)–إنشاء الجمعيات والكتابة في الصحف:

من ناحية أخرى مثّلت الجمعيات إحدى الوسائل التي استخدمها "الأفغاني" لنشر أرائه وأفكاره الخاصة بإصلاح الفكر الإسلامي. حيث كوّن عدة جمعيات كان أبرزها جمعية العروة الوثقى وبدرجة أقل جمعية أم القرى. ويبدو أن هذه الأخيرة كانت أول ما بدأ به في هذا الجانب فقد قام بإنشائها في مكة المكرمة عام 1857م،والتي ضمت أعضاء من مختلف الأقطار الإسلامية[3].

بينما التي كانت لها أهمية كبيرة هي جمعية العروة الوثقى التي أخذت الجمعية إسمها من الآية القرآنية الكريمة:﴿**لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغيّ فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد**

---

(1) كانت أخصب سنوات الحياة العلمية التي عاشها جمال الدين الأفغاني في مصر حينما أقام بها لمدة 8 سنوات (1872–1879م) ، حيث ألقى دروسا في داره في خان خليلي بالقرب من الجامع الأزهر، وهذا ما يفسر إقبال نخبة من العلماء والمثقفين إليه أبرزهم الشيخ محمد عبده، إبراهيم اللقاني، سعد زغلول وأديب إسحاق، ويبدو أنه لم يلقيها في الجامع الأزهر بسبب الخلاف الذي حدث بينه وبين شيوخ الجامع. ولكن ذلك لا يعني أنه لم يلقي دروسا في بلدان أخرى بل كانت كل من إيران والأستانة مجالا لذلك، أنظر: معبود وآخرون، المرجع السابق، ص ص279–280.

(2) قنان، المرجع السابق، قرص مضغوط.

(3) المحافظة، المرجع السابق،ص110.

استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها﴾ [1].وفي هذا دلالة على أنها جمعية إسلامية تقوم على أساس الدين الإسلامي، وجّه إهتمامها إلى الدفاع عن حقوق الأمة الإسلامية التي انتهكت من طرف الإحتلال بما يقتضيه الإسلام[2]،وتجدر الإشارة إلى أن هذه الجمعية قد اعتمدت السرية في مسيرتها نظرا لما فرضته عليها الظروف السياسية في الشرق حينذاك، لكن ذلك لم يمنع من تواجد فروع لها في بلدان كثيرة[3].كما حاولت الإتصال بنخبة من السياسيين الأوروبيين المعتدلين، والذين يميلون إلى تحقيق العدالة العامة ويسعون إلى حماية الشعوب الإسلامية من أوروبا[4].

لما كانت الصحافة الأداة المشروعة المعترف بها لكل جمعية لنشر دعوتها والدفاع عن نفسها كانت "لجمال الدين الأفغاني" إسهامات صحفية متنوعة[5]ساهمت بشكل كبير في الدعوة إلى الإصلاح ومن ثم في بلورة فكرة الجامعة الإسلامية التي كان يصبو إلى تحقيقها. وأبرز تلك الإسهامات جريدة "العروة الوثقى" التي قام بإنشائها خلال سنة 1883م رفقة الشيخ محمد عبده في العاصمة الفرنسية "باريس" بعد أن قام باستدعائه من منفاه في بيروت وبعد أن قاما بتأسيس جمعية العروة الوثقى، وقد كانت لهذه الجريدة أعضاء في كل من مصر والهند والأستانة، ويبدو أنه كان لها أعضاء من المغرب العربي[6]،فمثّلت بذلك أهم معلم للإصلاح والنضال عند "الأفغاني".

اتفق أعضاء الجمعية على إصدار جريدة العروة الوثقى على أن يكون "جمال الدين" مدير السياسة فيها، والشيخ "محمد عبده" المحرر الأول لها[7].ويتم إرسالها إلى جميع الجهات الشرقية مجانا،

---

(1) سورة البقرة، الآية 256.

(2) الأفغاني و عبده، المصدر السابق، ص 67.

(3) كان كل فرع يجتمع للتباحث في فترة زمنية يحددها بنفسه وكان أعضاء كل فرع في آخر اجتماع لهم، يتبرعون بشيء من المال في صندوق صغير له ثقب ضيق يضع فيه كل ما تيسر خفية حتى لا يعلم من أدى أقل ومن أدى أكثر، أنظر: أحمد أمين، **زعماء الإصلاح في العصر الحديث**، د.ط، دار الكتاب العربي ، بيروت ، د.ت، ص 82.

(4) الأفغاني و عبده، نفسه.

(5) تميزت الكتابات الصحفية للسيد جمال الدين الأفغاني عن غيرها من الكتابات بالتحول عن السجع والمحسنات اللفظية والبديعية ، إلى إعتماد الأسلوب العلمي البسيط الذي يفهمه جميع العامة، أنظر: أنور الجندي، **تاريخ الصحافة الإسلامية** ، ج1،د.ط،دار الأنصار، مصر، د.ت، ص 21،أنظر أيضا: المغربي، ا لمصدر السابق، ص 19.

(6) أحمد دراوي ، **الجزائر والجامعة الإسلامية 1876-1924م**،مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ المعاصر، جامعة الجزائر،(مرقونة)، 2007-2008م ،33.

(7) أنظر الملحق رقم 01.

فقد وزعت على مصر والشام والعراق، الجزيرة العربية وإيران وإلى أفغانستان والهند ليتداولها الأمير والحقير والغني والفقير، كما سمح لمن يرغب في أن يجعل من تحريره في أي موضوع أن ينال صفحة خاصة في الجريدة بعد أن يرسلها عبر العنوان المخصص لها[1].وقد صدرت هذه الجريدة بعد الإحتلال البريطاني لمصر مضيفا للعمل الصحفي الإسلامي قضية الوحدة الإسلامية التي احتلت جزءا هاما في الجريدة، إلى جانب قضايا أخرى، وقد صدر العدد الأول منها يوم الخميس 15 جمادى الأولى 1301هـ الموافق ل: 13 مارس 1884 م، واستمرت حوالي ثمانية أشهر حتى توقفت بعد صدور العدد الثامن عشر والأخير منها في 17 أكتوبر 1884 م [2].

كانت الجريدة مظهرا لتعاون مصلحين مسلمين ينطلقان من منطلق واحد هو الإسلام ولهدف واحد هو إيقاظ الأمة لتؤدي رسالتها، لذا جاءت معظم عناوين المقالات مفتتحة إما بأيات قرآنية أو بحديث نبوي إشارة إلى الموضوع الذي تعالجه هذه المقالة أو تلك. فعلى سبيل المثال كانت إفتتاحية العدد الأول تستند إلى قوله تعالى:﴿**ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير**﴾ [3]،بالإضافة إلى مقالات أخرى.

استهدفت جريدة العروة الوثقى من خلال مقالاتها توجيه المسلمين وإرشادهم وهذا ما يظهر بشكل جلي في القسم الأول منها، حيث احتوت في مضامينها على موضوعات تحفيزية تبعث على الحماس وتزيد من الوعي الفكري وتساهم في تحرير الأمة الإسلامية من الأفكار الغربية التي علقت بأذهانها لأنّ الأمة قد استهوتها الحضارة الغربية إلى درجة تخليها عن دينها وعن مبادئها الأخلاقية. وقد اخترنا من تلك المقالات مثالين لا على سبيل الحصر وإنما لمدى تأثيرها على المجتمع الإسلامي من حيث توعيتهم بحاضرهم إلى جانب تذكيرهم بما كان عليه السلف الصالح.

أما المثال الأول فيتمثل في المقالة المعنونة ب: "الجنسية والديانة الإسلامية "[4] والتي حث فيها "الأفغاني" على تجنب العصبية الجنسية، كما دعا فيها إلى ضرورة الإلتفاف حول الدين الإسلامي الذي لا يفرق بين المسلمين إلا بالتقوى و التمسك به، إذ أن ذلك يمنح لصاحبه العظمة في حين ينال المسكنة من تخلى عنه، كما دعا إلى السير على نهج الخلفاء الراشدين والرجوع إلى الأصول

---

(1) الأفغاني و عبده، المصدر السابق، ص 68 وما بعدها.

(2) نفسه، ص 71.

(3) سورة الممتحنة، الآية 04.

(4) الأفغاني و عبده، نفسه،ص103.

الأولى في الديانة الإسلامية القويمة[1]، فمتى حدث ذلك ترك المسلم تفاخره بانتسابه إلى شعب معين، وجعل جل تفكيره منصبا في الروابط العامة بدل الروابط الخاصة.

أما المثال الثاني فقد تمثل في المقالة الموسومة ب:"ماضي الأمة وحاضرها وعلاج علّلها"[2]فقد عالج فيها أسباب تخلف المسلمين كتفرقهم وتشتت قواهم وعقيدة بعضهم وعدم معرفتهم بحقائق الإسلام والتمسك بالأوهام وإهمال العلم، في المقابل نادى بالرجوع إلى قواعد الدين الأصلية والأخذ بأحكامه على ما كان في بدايته بالإضافة إلى إرشاد العامة وتطهير قلوبهم وتهذيب أخلاقهم كوسيلة ناجعة للتخلص من التخلف.

رغم قصر مدة صدور الجريدة وأعدادها القليلة، إلا أنها احتلت مكانة كبيرة في تاريخ الصحافة الإسلامية الحديثة، حيث كانت الصحيفة الوحيدة التي حققت لنفسها عالمية الإنتشار[3]،إلا أنها لم تتمكن من الصمود لوقت طويل، فقد مورست عليها الضغوط من قبل بريطانيا، إذ ضيقت عليها الخناق، ومنعتها من الوصول إلى مستعمراتها في الهند ومصر، كما فرضت غرامة مالية على مقتنيها. بالإضافة إلى الصعوبات المالية أمام توزيعها بالمجان [4].

زيادة على الكتابات الصحفية التي اشتهر بها "الأفغاني" خلال محاولاته الحثيثة وجهوده المضنية التي كرّسها للإصلاح الديني وجدت له كتابات أخرى ضمنّ فيها أفكاره وأرائه حول ما كان يعانيه المسلمون من جهل وتخلف وبيّن مواطن ضعفهم الذي شمل مختلف الميادين،وفي نفس الوقت بيّن كيفية معالجة تلك الأمراض ولعل كتابه الموسوم ب:"خاطرات جمال الدين الأفغاني آراء وأفكار"-التي أملاها تلميذه المخلص "محمد المخزومي"-أبرز تلك الكتابات[5].ولم يكتف بالصحافة لتوجيه المسلمين وتوعيتهم وإنما استخدم وسيلة أخرى تمثلت في (إرساله الوفود إلى الأقطار المختلفة رسلا

---

(1) الأفغاني ومحمد عبده، المصدر السابق ،ص 106.

(2) نفسه، ص 107 وما بعدها.

(3) كان للجريدة أثر بالغ الأهمية، ومن مظاهر ذلك الأثر هو سير الصحف التي جاءت في الفترات اللاحقة ،التي كانت امتداد لها ونذكر من بينها: من مصر: مجلة المنار ومؤسسها (محمد رشيد رضا)،(مجلة الفتح 1927م لمحب الدين خطيب) ،من أوروبا مجلة الأمة العربية (شكيب أرسلان وإحسان الجابري)،من تونس(مجلة المعارف1908م) و(مجلة شمس الإسلام)1937م،الجزائر (البصائر لمحمد البشير الإبراهيمي) وغيرها، أنظر: الجندي، **تاريخ الصحافة**...،المرجع السابق، ص ص 20-21.

(4) دراوي، المرجع السابق ،ص 34.

(5) جمال الدين الأفغاني، **خاطرات جمال الدين الأفغاني آراء وأفكار**، تق:سيد هادي خسرو شاهي، ط3، مكتبة الشروق الدولية ، القاهرة ، 2001 م ،ص14 وما بعدها.

متخفين مزودين بالتعاليم التي لا يستطيع نشرها في جريدة العروة الوثقى، فبعث برسول إلى موسكو، وبعث برسول آخر إلى الحجاز ،وأرسل الشيخ محمد عبده وهو محكوم عليه بالنفي إلى مصر وتونس)[1].

بالإضافة إلى كتابته للعديد من الخطابات الشخصية لأقربائه وأصدقائه وتلاميذه، في إيران ومصر وتركيا وغيرها من الدول التي تيّسرت له زيارتها زيارة طويلة أو قصيرة، وكانت هذه الخطابات تتضمن أفكاره الإسلامية وآراءه السياسية، ومبادئ دعوته الإصلاحية[2]. وقد لقيت تلك الخطابات قبولا لدى تلامذته ويظهر ذلك جليا من خلال الرسائل التي بعثوا بها إليه والتي كانت تحمل في طياتها الإجلال والإشادة بدعوة أستاذهم الإصلاحية، حيث كانوا يخاطبونه كما يخاطبون الملوك والسلاطين والأمراء[3].

الإصلاح السياسي:

إذا كان "الأفغاني" قد كافح من أجل توحيد كلمة المسلمين وجمع شملهم واسترجاع قوتهم قصد الدفاع عنهم وعن الإسلام،من خلال دعوته إلى إصلاح الدين بتطهيره ونبذ الخرافات والبدع والأوهام والسعي لتوجيه المسلمين وتوعيتهم، فإنه قد اختار طريق السياسة الذي تحكمت فيه طبيعة الظروف المحيطة بالعالم الإسلامي، جاعلا تعاليم الإسلام الصحيحة أساسا لدعوته. لذلك ظهرت الجامعة الإسلامية في مظهر حركة سياسية تضم في جوهرها حركة دينية، فهو لم يفرق بين الدين والسياسة[4].

فالإصلاح السياسي من مقاصد القرآن الكريم والإسلام دين هداية وسيادة وحكم، فما جاء به القرآن من إصلاح البشر في جميع شؤونهم، يتوقف على السيادة وإقامة الحق، والحكم والعدل، وحماية الدين والدولة. ولما كان الوضع مترديا في العالم الإسلامي جراء الإحتلال الأجنبي والإنتهاكات والمظالم التي كانت تتعرض لها الأمة الإسلامية وجد "الأفغاني" نفسه مجبرا على خوض غمار السياسة. وقد كانت محاربة الظلم وإقرار العدل-حسب رأيه- الخطوة الأولى في التحرك نحو تحقيق الجامعة الإسلامية. ولذلك كان يحرص على توعية الناس بحقوقهم وبأشكال الظلم عليهم ليتخذوا مواقف

---

(1) عبد العزيز محمد الشناوي، **الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها**، ج3،د.ط، مكتبة الأنجلو المصرية،د.س،ص65.

(2) ميرزا ، المصدر السابق،ص13.

(3) من بين التلاميذ الذين كانت لهم مثل هذه الخطابات : ومحمد باقر البواناني ابراهيم المويلحي، ابراهيم اللقاني، وغيرهم، أنظر: نفسه،ص63 وما بعدها.

(4) كابان، المرجع السابق ،ص 134.

محددة. وعلى هذا الأساس ارتكزت تلك الخطوة عنده على أمرين أساسيين لا ثالث لهما: التحرر من الحكم الإستبدادي ومقاومة الإحتلال الأجنبي[1].

1. التحرر من الحكم الإستبدادي:

إنّ من بين العوائق التي حالت دون تقدم المجتمعات الإسلامية الإستبداد والتسلط، الذي يمارسه بعض الحكام المسلمين في إدارتهم للشؤون العامة، وإذا لم تكن للأمة كلمة بشأن توجيه مصيرها فلا فائدة من وجود سلطة زمنية على رأسها، لأن ذلك سيجلب لها التقهقر والإنحطاط والجمود الفكري، ويستحيل إنشاء رابطة تضامنية وأخوية.

كان "الأفغاني" من أشد عصره معارضة للحكم الإستبدادي لذلك عمدّ إلى تقديم جملة من البدائل لعل أبرزها: تطبيق الحكم الدستوري القائم على انتخاب الحاكم من طرف الشعب على أن يبايعوه على العدل والشورى وعلى اتباع ما يسنه القرآن الكريم، فيكون ذلك عهدا بينه وبينهم، وإذا خان العهد، ونقض ببيعته، كان لهذه الشعوب تصرف آخر معه.وقد عبّر عن هذا الأمر بقوله:(ذلك الرجل إما أن يكون موجودا أو تأتي به الأمة فتملكه على شرط الأمانة والخضوع لقانونها الأساسي وتتوجه على هذا القسم وتعلنه له يبقى التاج على رأسه، ما بقي هو محافظا أمينا على صون الدستور، وأنه إذا حنث بقسمه وخان دستور الأمة إما أن يبقى رأسه بلا تاج أو تاجه بلا رأس)[2].

أ) إقرار العدل:

اشترط "الأفغاني" أن يكون العدل صفة من الصفات التي يجب أن تتوفر في الحاكم، وقد عبر عن ذلك بقوله:(لا تحيا مصر، ولا يحيى الشرق بدولة وإمارة إلا إذا أتاح الله لكل منهم رجلا قويا عادلا يحكمه أهله على غير طريق التفرد بالقوة والسلطان ...)[3]. فخضوع السلطة الزمنية بملكها أو سلطانها للعدل، إنما هو تطبيق لما تقتضيه الشريعة الإسلامية حتى تستطيع قمع أهل الشر وصيانة حقوق العامة والخاصة. فالأمة التي تخضع لحاكم إرادته قانون ومشيئته نظام، فلا ثبات فيها ولا تقدم، الأمر الذي أدى "بالأفغاني" إلى دعوة أهل الرأي وأرباب الهمة من أفرادها إلى التعاون فيما بينهم

---

(1) المهدي بوعبدلي، "دور جمال الدين الأفغاني في يقظة الشرق ونهضة المسلمين"، مجلة الأصالة ،ع 44،الجزائر،1977م ،ص ص 37-38.

(2) الأفغاني، **خاطرات**...،المصدر السابق، ص84.

(3) نفسه، ص 83.

لاستبداله بخير منه[1] وفق ما يقتضيه الإسلام، فكما دعا الدين الإسلامي إلى الإقتداء بالكتاب والسنة وتهذيب النفوس، دعا إلى وضع الحدود بين الحاكم والمحكوم، فضلا عن تبيان حدود السلطة وتعيين شروطها ،حتى لا تكون لا على إمتياز أو على جنس أو قبيلة أو قوة بدنية وثروة مالية[2].

ب) إقرار مبدأ الشورى:

تعدّ الشورى من ركائز الحكم الدستوري، حيث نادى بقيام حكم شوري ممثلا في وجود دستور يحدد سلطات الحاكم، فكلما كان الملك محاطا بالمستشارين الأكفاء ذوي العقول النيرة، فضلا عن إشراك الأمة في إدارة شؤونها وشؤون بلادها، كلما كان الحكم صالحا وموفقا إلى حد بعيد، بالإضافة إلى إلتفاف كلمة الشعب حول الحاكم[3]،وبذلك يعود الأمر إلى ما كان عليه في عهد النبوة وفي عهد الخلفاء الراشدين. كما بيّن كيف أنّ على الملك أن يختار الرجال ذوي الكفاءة والتدبير والحزم حتى يقوموا على سائر شؤون المملكة وقد أفرد بهذا الخصوص مقالا في جريدة العروة الوثقى تحت عنوان: "رجال الدولة وبطانة الملك كيف يجب أن يكونوا"[4]،مستشهدا في ذلك بالآية الكريمة:﴿**يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا ودّوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر قد بيّنا لكم الآيات إن كنتم تعقلون**﴾[5].

أولى "جمال الدين الأفغاني" التحرر من الحكم الإستبدادي عناية كبرى في سيرته الجهادية – الفكرية والعملية–حيث ظهرت مواقفه السياسية في المقالات المتعددة التي ضمنتها الجرائد التي كتب فيها والتي انتقد فيها الحكام المستبدون، وفي المقابل غرّس في تلاميذه روح اليقظة والجرأة والشجاعة والتنبه لحقوقهم وحقوق الشعب المظلوم، كما ظهرت من خلال الخطابات التي بعث بها إلى الملوك يحثهم فيها على ضرورة اللجوء إلى إتخاذ إصلاحات في الدولة[6].

---

(1) الأفغاني و عبده، **العروة الوثقى**...،المصدر السابق، ص ص191-192.

(2) الأفغاني ، **خاطرات**... ،المصدر السابق، ص105.

(3) نفسه،ص83.

(4) الأفغاني و عبده، نفسه ،ص176.

(5) سورة آل عمران، الآية 118.

(6) من بين الملوك الذين بعث إليهم الأفغاني يحثهم على ضرورة الإصلاح كان شاه إيران، حيث دعاه لإحداث برلمان يختاره الشعب، الأمر الذي أثار حفيظة الملك فقام بنفيه، وتجدر الإشارة إلى أن محاولات الأفغاني السياسية قد جعلته يتعرض لأشد أنواع الإضطهاد والنفي، أنظر: بوعبدلي، المرجع السابق،ص38.

2. مقاومة الإحتلال الأجنبي:

يبدو أن "الأفغاني" كان أول من تنبأ باجتياح ذلك الخطر الأجنبي على العالم الإسلامي ويظهر ذلك من خلال قوله:(ألا أيها النائمون تيقظوا، ألا أيها الغافلون تنبهوا، يا أهل الشرق والناموس، ويا أرباب المروءة والنخوة ويا أولي الغيرة الدينية، والحمية الإسلامية، ارفعوا رؤوسكم تروا بلاء منصبا على أوطانكم، وما أنتم ببعيد منه، ولا بمعزل عنه، إن لم يكن أصابكم اليوم فسيصيبكم غدا...أصبحتم على شفا جرف المذلة، ويخشى أن يقذف بكم بعد قليل في جحيم العبودية)[1].

إن أصدق أراءه التي تعبر عن مدى نكرانه لهذا الإحتلال ما جاء في قوله:(هذا الإستعمار لغة واصطلاحا، مصدرا واشتقاقا، لأراه إلا من قبيل أسماء الأضداد،فهو أقرب إلى الخراب والتخريب، وإلى الإسترقاق والإستعباد منه إلى العمار والعمران والإستعمار، لا تسير دول الإستعمار إلا إلى البلاد الغنية في ثروتها ومعادنها وخصب تربتها، ومن كان أهلها في الدرك الأسفل من الجهل، قد خيّم عليهم الخمول، لا يبدون حراكا ولا يقربون عراكا)[2].

كانت دعوة "الأفغاني" السياسية تركّز على مواجهة الإحتلال الأجنبي باعتبارها ضرورة حتمية فرضتها الأوضاع التي كان يعيشها المسلمون خلال تلك الفترة حيث صار العالم الإسلامي يتأرجح بين الإحتلال البريطاني والفرنسي فكان بذلك أشد خصومه، وتحقيق هذا الأمر حسب رأيه لن يحدث إلاّ إذا توفرت جملة من الشروط أبرزها بعث الروح النضالية في نفوس المسلمين، بالإضافة إلى تحقيق وحدة إسلامية.

أ) بعث الروح النضالية:

أفنى "الأفغاني "حياته في محاربة ذلك الوباء والتحذير منه وتأليب الناس عليه[3]. فقد حاول بكل جهده بث الهمة والروح النضالية وزرع الثقة في نفوس المسلمين قصد تهيئتهم لمواجهة ذلك الخطر، وذلك من خلال إبراز مدى عداء الشعوب الأوروبية للإسلام[4]،فقد كان يرى في الإحتلال أسلوبا

---

(1) الأفغاني و عبده، **العروة الوثقى**... ،المصدر السابق، ص ص 21-22.

(2) الأفغاني ، **خاطرات**...،المصدر السابق، ص 243.

(3) قلعجي، المرجع السابق، ص ص 24-25.

(4) يبدو أن الأفغاني قد جعل من العداء الأوروبي للإسلام أهم عامل أدى إلى الإحتلال الأجنبي، ولهذا نجد ان الجامعة الإسلامية في نظره يجب أن تتخذ في صراعها معه طابعا دينيا، لما للوازع الديني من أهمية بالغة في قيادة البشرية، فكما قادت الشعوب الأوروبية لهذه السيطرة ،فإنها ستقود الأمة الإسلامية حتما إلى التحرر منها. كيف لا و الإسلام دين حق.

اتخذ عدة أشكال من أجل القضاء على الشخصية الإسلامية التي مصدرها القرآن، والتي تجمع بين المسلمين في رباط واحد، وأخطر شكل ذلك الذي يسعى لإفساد عقيدة المسلم، إما بتشكيكه فيها، أو بمحاولة صرفه عنها[1].

كان ذلك النضال بالنسبة له يمثل فرض عين وليس فرض كفاية، إذ يجب على كل مسلم أن يدافع ويحافظ على دار الإسلام من كل ما يهدد سلامتها، فهم مأمورون من الله عز وجل، والتفريط في حماية أرض المسلمين إنما هو إثم يقع عليهم[2]. فالإحتلال في نظره هو حالة غير ثابتة، دائمة بدوام أسبابها وزائلة بزوالها. فمتى كان المسلمون يحافظون على استكانتهم وضعفهم، بقي ذلك الخطر على حاله بل زاد أكثر من ذلك، ومتى قرروا النهوض والمقاومة، تمكنوا من إرغامه على الخروج من بلادهم دون رجعة[3].

خص "الأفغاني" كفاحه ضد الإحتلال البريطاني نظرا لمدى خطورته على العالم الإسلامي، وقد عبّر عن ذلك في جريدة العروة الوثقى[4] ومما جاء فيها:(إنه لا توجد نفس تشعر بوجود الحكومة الإنجليزية على سطح الأرض إلا وقد مسها منهم شيء من الضر... ! لقد صار الإنجليز كالدودة الوحيدة على ضعفها تفسد الصحة وتدمر البيئة... !)[5].وقد ظل جهاده في سبيل تحرير الوطن والأمة من مختلف أنواع السيطرة مستمرا باستمرار الإحتلال،ولم يكن يتحيز لمنطقة على حساب أخرى وإنما كان مهتما بتحرير كل الأقطار الإسلامية، إلى درجة أنه كان يتفاوض مع الإنجليز في بعض المسائل السياسية التي تتعلق بدول غير دولته الحقيقية ليس حبا في الإنجليز ولا خيانة للعالم الإسلامي وإنما لوجود حلول تخفف من وطأة المحتل[6].

---

(1) محمد البهي، **الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالإستعمار الغربي**،ط3،مكتبة وهبة،القاهرة،1961م،ص69.

(2) الأفغاني و عبده، **العروة الوثقى**...،المصدر السابق، ص 122.

(3) الأفغاني، **خاطرات** ...،المصدر السابق، ص ص 244-245.

(4) كانت جريدة العروة الوثقى أجّل أثر تركه "جمال الدين" يؤكد على ضرورة التصدي للخطر الأجنبي وتحرير المسلمين منه، فقد وجّهت عنايتها إلى نبذ الإحتلال الأجنبي، ولعل القسم الثاني منها لدليل على هذا الكلام، إذ خصصته للحديث عن مخططات الإنجليز ومشاريعهم الهادفة إلى تتمة السيطرة على العالم الإسلامي. أنظر: نفسه،ص235 وما بعدها.

(5) الأفغاني وعبده، نفسه،ص46.

(6) ميرزا، المصدر السابق،ص79.

لقد دعا في ظل مقاومته للإحتلال إلى اللجوء إلى الثورة السياسية، حيث اعتبرها أسرع وسيلة لتحرير الشعوب الإسلامية فكان بذلك عكس الشيخ محمد عبده الذي دعا إلى الإصلاح الإجتماعي والتربوي والتعليم[1]. فالثورة في اعتقاده الوسيلة الوحيدة القادرة على القضاء على الفساد والجمود وعلى الأنظمة والقوانين المتخلفة. بالإضافة إلى أنها السبيل نحو ربط أجزاء العالم الإسلامي ببعضها البعض ،ويظهر حرصه على ضرورة الثورة ضد المحتل الأجنبي بدعوته لكل من مصر والهند إلى الثورة على الإحتلال البريطاني مستشهدا بالثورة التي قام بها الأفغان حيث قال:(ذلك أن مقاومة الأهالي أشد بأضعاف مضاعفة من القوة العسكرية المجتمعة في أماكن مخصوصة تحت قيادة رؤساء معنيين تنهزم بانهزامهم، وما جرى لحكومة إنجلترا مع الأفغانيين أفضل شاهد على ما نقول)[2].

ب) تحقيق الوحدة الإسلامية:

دعا "الأفغاني" في ظل خوضه في مسألة التصدي للخطر الأجنبي إلى الوحدة الإسلامية نظرا لأهميتها البالغة في تخليص المسلمين من مختلف مظاهر الخضوع والعبودية والذل والمهانة الناجم عن السيطرة الأجنبية بمختلف أنواعها فكانت وسيلة دفاعية بالدرجة الأولى[3].(ولم تكن في نظره قضية سياسية مرحلية فحسب، بل اعتبرها جزءا من الأصول الأساسية التي يدعوا إليها الإسلام وهي أمر ضروري سياسيا ودينيا وحضاريا)[4].

فقد اعتبرها بمثابة فريضة دينية وتطبيق لتعاليم القرآن الكريم، حيث يكون الدين أساس وحدة الأمة وسيادتها كما يمثل دستورها وقانونها؛ لذلك تقتضي الوحدة الإسلامية حسب رأيه شرطان أساسيان واضعا في فكره تحقيق تلك الغاية المنشودة والمتمثلة في التصدي للخطر الأجنبي على كافة الأصعدة؛ فأما أول تلك الشروط فقد تمثلت في اعتبار الدين الرباط الحقيقي بين المسلمين والحافظ لحقوقهم المنتهكة، أما الشرط الثاني فيكمن في توحيد المسلمين سياسيا.

---

(1) كان للإصلاح طريقان أحدهما يهدف إلى التغير الفوري وذلك باللجوء إلى الثورة، والآخر يهدف إلى التغيير من خلال تهيئة الشعب وإعداده وتنشئته وتربيته، ويبدو أن الأفغاني قد سلك الطريق الأول ،بينما آثر محمد عبده على اختيار الطريق الثاني، أنظر: عيسى مهني، **محمد عبده ومواقفه من قضايا عصره(1849-1905م)**،مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في التاريخ المعاصر،(مرقونة)، جامعة محمد خيضر،بسكرة،2014م ،ص ص 71-72.

(2) الأفغاني و عبده، **العروة الوثقى**... ،المصدر السابق، ص46 .

(3) الشناوي، المرجع السابق،ص53.

(4) الأفغاني و عبده، نفسه، ص73

كما كان يرى أن توحيد المسلمين يمثل الخطوة الأهم لإنشاء جامعة إسلامية، حيث سعى في حياته وجولاته في أقطار إسلامية عديدة إلى دعوة المسلمين للتضامن والوحدة، ونبذ الخلاف والتفرقة وجمعهم في وطن واحد هو العالم الإسلامي[1] لذلك دعا إلى إنشاء رابطة دينية تجمع بين العربي والتركي، والفارسي والهندي، والمصري والمغربي[2]،(فكما أن الإسلام عقيدة وعبادة فهو وطن وجنسية، والمسلمون جميعا أمة واحدة والوطن الإسلامي وطن واحد)[3]. وقد حاول من خلال تلك الدعوة إثبات مدى أهمية تلك الرابطة في حياة المسلمين من أجل السير بهم قدما، والتي لا تلقي بالا لا للمذهب ولا للوطن على عكس الجامعة القائمة على أساس الجنسية التي لا يرى فيها سوى أداة تفرقة وتشتت، وقد أكدّ ذلك من خلال قوله:(لا جنسية للمسلمين إلا في دينهم)[4]،مدعما فكرته بالحالة التي كان عليها المسلمون في عهد الخلفاء الراشدين من حيث العقيدة ووحدتهم واعتزازهم بدينهم فلم تفرقهم لا مذاهب ولا نحل، وإنما كانوا مترابطين برابطة الدين.

بالإضافة إلى تأكيده على أنّ هذه الرابطة إنما هي خير وسيلة للتصدي للخطر الأجنبي الذي داهم العالم الإسلامي والذي زكى تلك النعرة القومية التي ميزت القرن التاسع عشر، ويظهر ذلك بشكل جلي من خلال قوله:(نعم إن الإفرنج تأكد لديهم أن أقوى رابطة بين المسلمين إنما هي الرابطة الدينية، وأدركوا أن قوتهم لا تكون إلا بالعصبية الإعتقادية، ولأولئك الإفرنج مطامع في ديار المسلمين وأوطانهم فتوجهت إلى بث هذه الأفكار الساقطة بين أرباب الديانة الإسلامية وزينوا لهم هجر هذه الصلة المقدسة وفصم حبالها، لينتقضوا بذلك بناء الملة الإسلامية، ويمزقوها شيعا وأحزابا)[5].

فقد كان يرى أن الإحتلال يعمل بمختلف الأساليب لإضعاف الروح الدينية والإجتماعية في البلاد الإسلامية من أجل أن يسهل عليه السيطرة التامة في أهلها. لذلك حاول دائما إشعار العالم الإسلامي بوجوب التوحد أمام العالم النصراني الذي مازالت تتحكم فيه الروح الصليبية والتعصب الديني والتي أدت إلى إذلال الإسلام والمسلمين، كما سعى إلى القضاء على كل ما من شأنه أن

---

(1) المغربي، المصدر السابق، ص ص 54-55.

(2) الأفغاني وعبده، **العروة الوثقى**...،المصدر السابق، ص139.

(3) كابان، المرجع السابق، ص51 وما بعدها.

(4) الأفغاني و عبده، نفسه،ص159.

(5) نفسه، ص 136.

يشكل عائقا في وجه تحقيق هذه الوحدة على المستوى الداخلي. كفقدان الخلفاء والعلماء للرتبة العلمية، لأن هؤلاء هم ورثة الأنبياء ومن واجبهم إحياء الرابطة الدينية[1].

كما كان يرى بأن تحقيق الوحدة الإسلامية أمر ممكن إذا انضوت جميع شعوب الأمة الإسلامية على اختلاف أوطانها وجنسياتها تحت راية الخلافة، التي تجمع بين يديه السلطتين الدينية والزمنية وبذلك يعود للمسلمين ما كان لهم من قوة وعزّة زمن الخلفاء الراشدين والخلفاء العباسيين. وقد أكدّ الأفغاني على أن تأخذ الدول الإسلامية القرآن دستورا لها وأن تلتزم بالشورى والعدل من خلال قوله:(لا ألتمس بقولي هذا أن مالك الأمر في الجميع شخص واحد، فإن هذا ربما كان عسيرا، ولكني أرجوا أن يكون سلطان جميعهم القرآن، وجهة وحدتهم الدين، وكل ذي ملك على ملكه يسعى بجهده لحفظ الآخر ما استطاع)[2].

كانت الخلافة فكرة قابلة للتنفيذ عندما كان العالم الإسلامي متّحد الأواصر سليم البنيان، فلّما انقسمت على نفسها تفرقت شيعا، خلفت عنها وحدات سياسية مستقلة، فأصبحت غير ممكنة التنفيذ، وضاعت صلاحيتها، وهذا ما حال دون عودة الوحدة بين الدول الاسلامية المستقلة؛ لذلك دعا إلى توحيد وتقريب الرؤى السياسية بين هذه الدول[3]، كما دعا الحكام المسلمين إلى أن يتعاونوا في خدمة الإسلام. وفي هذا الصدد ذهب "محمد رشيد رضا" إلى أن "الأفغاني" قد سعى إل الجامعة الإسلامية من (الطريق الأقرب، طريق تنبيه الحكومات المسلمة المستقلة إلى الإتحاد ،لكن دعوته هذه لم يكتب لها النجاح فقد عارضها بعض الحكام ،وأباها البعض الآخر جهلا أو كرها)[4].

لكن ذلك لم يمنعه من الدعوة إلى الإلتفاف حول الخلافة الإسلامية وإن كان يقصد بها نوعا من السلطة الروحية أو مجرد أولوية شرفية؛ ذلك لما لها من أهمية وتأثير على المجتمعات الإسلامية فمثلما لها جانب روحي فإن لها جانب سياسي، ومن هنا كان لابد من إحيائها وإعادة مكانتها المرموقة التي كانت لها في صدر الإسلام. ودعا في ذلك أن يكون الخليفة من أي بلد إسلامي فلم يحصره لا في

---

(1) الأفغاني، **خاطرات**... ،المصدر السابق، ص125.

(2) الأفغاني و عبده، **العروة الوثقى**... ،المصدر السابق، ص162.

(3) دهاش ، المرجع السابق، ص 109.

(4) رشيد رضا، "الجامعة الإسلامية..." ،المصدر السابق، ص 337.

العثمانيين، ولا في أي دولة أخرى، وإن كان في بعض الأحيان يدعو إلى تنصيب خليفة عثماني مراعيا في ذلك أن الدولة العثمانية في تلك الفترة كانت أكبر دولة إسلامية في العالم الإسلامي[1].

لم تكن الخلافة الدعامة الوحيدة التي ارتكزت عليها دعوة "الأفغاني" للوحدة الإسلامية، بل كان الحج الركيزة الأخرى التي ساهمت بشكل كبير في توحيد كلمة المسلمين، فإلى جانب كونه ركن من أركان الإسلام، فإنه أداة سياسية سريعة لنشر الأفكار في أرجاء العالم الإسلامي. فهو المؤتمر الإسلامي الذي يجتمع فيه المسلمون من مختلف الأقطار الإسلامية للتباحث في مصالح الدين والدولة، وفيه تجتمع الأراء والتوجهات للدفاع عن الدين الإسلامي من جهة والدفاع عن الوطن من جهة أخرى[2]. وفي هذه الحالة طالب "الأفغاني" العلماء بصفتهم ورثة الأنبياء وقادة الأمة ومرشدوها في أمورها بالوحدة والتنسيق فيما بينهم في مركز واحد والتطوع لترشيح البيت الحرام ليكون هذا المركز المقترح.

اتخذ "الأفغاني" في سعيه لوحدة الأمة الإسلامية سبيل استحضار عناصر الإتحاد و التقريب بين المذاهب الإسلامية إلى جانب السبل المذكورة آنفا، حيث أنكر تلك التفرقة التي سادتها فسعى لإزالتها وخاصة ذلك الإنقسام الذي حدث بين السنة والشيعة. فنادى على إثر ذلك بالوحدة بين الفارسيين والأفغانيين وتجاوز ذلك الإختلاف، حتى تكون لهم سياجا لأوطانهم، ووسيلة مجدية لمكافحة أعدائهم وملاذا لجيرانهم ومثالا يقتدي به المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها، كما دعا إلى إنشاء رابطة بين المسلمين، وبينهم وبين غيرهم من اليهود والنصارى.وبذلك دعا إلى توحيد الأديان الثلاثة [3] .

أعطى " الأفغاني" للجامعة الإسلامية مضمونا تحرريا، رأى فيه تخليص الأمة الإسلامية من السيطرة الأجنبية التي مست مختلف ميادين الحياة، من خلال مواجهة ذلك الخمول والكسل الذي أصابها، والإتحاد فيما بينها لصد الخطر الخارجي، فالجامعة الإسلامية أساس مقاومة الإحتلال الأجنبي، فإذا اتحد المسلمون ببعضهم البعض برابطة من الأخوة والتضامن سهل عليهم رد العدو وزاد حظهم بالإنتصار.

---

[1] الجندي، **العالم الإسلامي**...،المرجع السابق، ص163.

[2] ستودارد، المصدر السابق، ص 289.

[3] قلعجي، المرجع السابق، ص 19.

المبحث الثالث:
السياسة الإسلامية للسلطان عبد الحميد الثاني

المطلب الأول: البعد الروحي

1.إحياء الخلافة والإلتزام بالشريعة الإسلامية

أ) على الصعيد الداخلي

ب)على الصعيد الخارجي

2. التقرب من الطرق الصوفية.

أ) الطريقة الرفاعية

ب) الطريقة الشاذلية-المدنية

المطلب الثاني: البعد السياسي

1. التقرب من الدعاة والعرب

أ) دعاة الجامعة الإسلامية

ب) أشراف العرب

2.سياسة الخطوط الحديدية

-خط حديد الحجاز

البعد الروحي:

عمل السلطان "عبد الحميد الثاني" إلى تبني الجامعة الإسلامية كونه رأى فيها الوسيلة الوحيدة التي تضمن له إحياء الشعور الديني الإسلامي عند المسلمين عامة والعثمانيين بشكل خاص ،كما اعتبرها سياسة إسلامية تسعى إلى تحقيق جملة من الأهداف والغايات ذات البعد الروحي، فقد عمل على جمع كلمة المسلمين تحت راية الخلافة العثمانية على أساس الشريعة الإسلامية، بالإضافة إلى تقربه من الشخصيات الدينية التي مثلتها الطرق الصوفية.

1.إحياء الخلافة والإلتزام بالشريعة الإسلامية:

شكّل الإسلام في الدولة العثمانية منذ نشأتها إيديولوجية دينية وسياسية في آن واحد كما لعب دورا مركزيا في التكوين التاريخي لها؛ فقد ظلّت دولة إسلامية مكرّسة نفسها لتوسيع دار الإسلام أو الدفاع عنه، وقد حرّص السلاطين العثمانيين على صبغ دولتهم بالمظهر الديني ويتمثل ذلك بالعلاقة بين الدولة والمجتمع، وفي إطار هذه العلاقة عملّوا على ألاّ تسير السياسة العثمانية بشكل يخالف الشريعة الإسلامية أو يمس مشاعر العامة من المسلمين، وبالمقابل نظرت شعوب الدولة العثمانية إلى هذه الأخيرة على أنّها دولة الإسلام[1].

كان السلطان "عبد الحميد الثاني" أقوى هؤلاء السلاطين بمحاولته لإعادة المكانة للإسلام في الدولة العثمانية التي فقدّتها منذ القرن الثامن عشر على إثر التأثيرات الغربية من خلال سعيه إلى توحيد عناصر الدولة بقصد توفير جبهة للصمود في وجه الغرب، بل وسعيه إلى تكتيل كل مسلمي العالم وبخاصة في الصين والهند وأواسط آسيا تحت راية الخلافة العثمانية على أساس الشريعة الإسلامية[2]. ولأن الجامعة الإسلامية تمثّل الوسيلة المجدية لتحقيق ذلك الغرض، عمد السلطان إلى تبنّيها معتبرا إيّاها سياسة إسلامية تسعى إلى تحقيق جملة من الأهداف والغايات ذات البعد الروحي على الصعيد الداخلي والخارجي.

أ) على الصعيد الداخلي:

سعى إلى الوقوف في وجه التيار المنادي بتطبيق الحياة الدستورية من جهة والحد من التأثيرات الغربية التي توغلت في الدولة العثمانية مع بداية اعتمادها على الإصلاحات من جهة أخرى، فقد

---

(1) عبد الرؤوف سنو، "تطور الإتجاهات الإسلامية في الدولة العثمانية من التنظيمات حتى نهاية عصر السلطان عبد الحميد الثاني"، مجلة المنهاج، ع 4،الحلقة الاولى،1996م،ص ص 03-04.

(2) مصطفى، المرجع السابق، ص 249.

نشطت حركة الإصلاحات بوجه عام على أساس الإقتباس من نظم الغرب، وذلك من خلال نخبة من المفكرين العثمانيين الذين نادوا بضرورة الإستفادة من التقدم الأوروبي ظنا منهم أن ذلك سينقذ دولتهم من الإنهيار[1]،فظهرت بعض أفكار الإصلاح متأثرة بالمدنية الأوروبية الأمر الذي أدى بالدولة العثمانية إلى الإتجاه نحو التغريب[2] في أنظمة حكمها وأساليب حياتها. ومع تسرب تلك الأفكار في العالم الإسلامي دون تحفظ انصرف الناس عن الثوابت الإسلامية.

وقد أخذت حركة التغريب في الدولة العثمانية صفة الرسمية على إثر إعلان التنظيمات، حيث برزت ثلاث فئات أولهما مؤيدة لهذه الحركة والأخرى معارضة لها داعية إلى التمسك بالقديم والعودة إلى الجذور والمبادئ والأفكار الإسلامية والإبتعاد عن كل ما هو مخالف لتعاليم الإسلام إلى جانب دعوتهم إلى استمرار الدولة في تمسكها بقوانينها ومعتقداتها التي تشكل أساس حضارتها، أما الثالثة فقد كانت فئة توفيقية حيث دعت إلى الأخذ من الغرب مع ضرورة ملاءمتها بالشريعة الإسلامية. مما أدى إلى حدوث صراع حاد بين الفئتين الأوليتن وهذا ما زاد سوءا وتدهورا في المجتمع العثماني[3].

استمر ذلك النزاع إلى غاية تولي السلطان "عبد الحميد الثاني "حكم الدولة العثمانية الذي عمل على تبني سياسة الجامعة الإسلامية كرد فعل على فشل حركة الإصلاحات التي تبنتها الدولة خلال السنوات الماضية رضوخا إلى الضغوط الأوروبية التي نجحت بنسبة كبيرة في إبعاد المجتمع الإسلامي عن عاداته ومعتقداته الأصلية. حيث دعا إلى التمسك بالإسلام كونه القوة الوحيدة التي ستجعل

---

(1) ساهمت السفارات العثمانية في نقل مظاهر المدنية الغربية إلى الدولة العثمانية، حيث أعطت عمقا وبعدا لمفهوم تغريب الدولة، فقام السفراء العثمانيون بتقديم تقاريرهم عن الدول الأوروبية وخاصة فرنسا، مما أدى إلى حدوث تغيير فكري لرجال الدولة العثمانية منذ ذلك العهد، ويرجع ذلك إلى سرعة تأثرهم وانبهارهم بمظاهر المدنية الغربية التي نقلتها تقارير هذه السفارات. ولأن هؤلاء السفراء كانوا مقربين من الحكام والسلاطين العثمانيين فإن انتشار تلك المفاهيم كان جد سريع، أنظر: طقوش، المرجع السابق، ص 9.

(2) التغريب تيار فكري كبير ذو أبعاد سياسية واجتماعية وثقافية وفنية يرمي إلى صبغ حياة الأمم بعامة والمسلمين بخاصة بالأسلوب الغربي، والتغريب في الدولة العثمانية أدى إلى تغيير المجتمع العثماني وبالتالي إبعاد المسلمين عن دينهم. أنظر: فردوس حافظ محمد جمال الدين، **دور السفراء العثمانيين والفرنسيين في حركة التغريب في الدولة العثمانية (1203–1327هـ/1788–1909م)**،رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر،(مرقونة)، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، ص 29.

(3) حافظ محمد جمال الدين، **موقف أوروبا**... ،المرجع السابق، ص 11.

المسلمين يقفون على أقدامهم ، شريطة أن يكونوا مخلصين لهذا الدين[1].دون اللجوء إلى الإصلاح على النمط الغربي.

كان السلطان "عبد الحميد الثاني" يرى في تلك الإصلاحات والأفكار المقتبسة من الغرب، والتي توغلت في أوساط المجتمع الإسلامي بدون تحفظ خطرا على المسلمين من حيث وحدتهم فقد كان يقول بأن (الأفكار المستوردة من أوروبا تشكل خطرا علينا، وتسبب لنا كارثة أليمة، أرى من حولي أن المسلمين سعداء، فلا أملك إلاّ أن أقاوم هذه الأفكار بكل ما أوتيت من قوة، إنها سموم تخرب العقول والقلوب)[2].

مثلّ الإسلام بالنسبة للسلطان "عبد الحميد" الوسيلة الوحيدة الكفيلة بالمحافظة على الدولة العثمانية والعالم الإسلامي من الإنهيار لذا وجب الإلتزام بالشريعة الإسلامية، وقد عبر عن ذلك في مذكراته حيث قال:(إذا كنا نريد أن نحيا من جديد وان نستعيد قوتنا ونبلغ عزتنا التي كنا فيها، علينا أن نرجع إلى المعين الذي أخذنا منه تلك القوة، فالخير كل الخير في رجوعنا إلى إسلامنا وإلى شريعتنا، والشر كل الشر في تقليدنا للحضارة الأوروبية الزائفة)[3].

أكدّ السلطان "عبد الحميد" على أنه لا يوجد مانع في أخذ العلوم الحديثة عن الحضارة الأوروبية التي من شأنها أن تساعد على الإرتقاء بالدولة شريطة أن تتلاءم مع الشريعة الإسلامية، ذلك لأن الإسلام لم يكن قط ضد أي تقدم، بل بالعكس تماما فلا طالما كان دين حضارة ،وقد استدل في ذلك بالحضارة الإسلامية التي كان عليها المسلمون خلال القرون الوسطى، حيث أظهروا براعتهم في شتى نواحي العلوم والفنون[4].

عمل السلطان على تنفيذ ما دعا إليه بدءا بحياته الخاصة حيث تميزت بالتقشف والزهد ونبذ مظاهر العظمة والأبهة ومزاولته للشعائر الدينية، كما أحاط نفسه بالفقهاء والعلماء من الأقطار الإسلامية. ليطبقها فيما بعد في العالم الإسلامي من خلال تأسيسه للمدارس والمعاهد الدينية لتخريج الوعاظ وإرسالهم إلى الأقطار الإسلامية البعيدة لتلقين سكانها المبادئ الأساسية للدين الإسلامي،

---

(1) نصير خير الله محمد التركيتي، " أضواء على موقف مصر من حركة الجامعة الإسلامية 1882-1908م"،مجلة جامعة تكريت للعلوم، م 18، ع 8،أيلول 2011م،ص 113.

(2) عبد الحميد الثاني، **مذكراتي السياسية 1891-1908م**،ط 5،مؤسسة الرسالة،بيروت،1986م،ص196 .

(3) نفسه ، ص 165.

(4) نفسه، ص 166.

وتوعيتهم وتحسيسهم بأهمية التضامن بين المسلمين، كما كان ينفق بسخاء على مختلف المرافق الدينية والتعليمية الأصلية[1]. كما دعا إلى ضرورة رفع المجتمع المسلم لراية الإسلام كي تتحد عناصره العرقية المختلفة ومن ثم تكون قادرة على الصمود أما الغرب بتياراته الفكرية[2].

ب)على الصعيد الخارجي:

فقد سعى إلى كسب تأييد ملايين المسلمين خارج الدولة العثمانية وحملهم على الوقوف إلى جانبه من خلال إثارة مشاعرهم الدينية ضد كافة القوى الإستعمارية التي تحاول النيل من الدولة العثمانية والعالم الإسلامي[3].حيث آمن السلطان "عبد الحميد الثاني" بوحدة هذا الأخير وبتقوية الروابط بين المسلمين في كل مكان لأنه كان يرى بأن هؤلاء في جميع أنحاء العالم هم الإمتداد الطبيعي لمسلمي الدولة العثمانية ولما دام الإسلام متميزا[4].

لذلك نجده قد استهدف من خلال تبنيه للجامعة الإسلامية استرجاع المكانة الروحية لمنصب الخلافة في نفوس جميع المسلمين في أي مكان باعتبارها (رمز إسلامي للوحدة والتقدم)[5].والتي يمكن لها أن تدعم أواصر الأخوة الإسلامية بين كل من مسلمي العالم في الصين والهند وأواسط إفريقيا وغيرها.(حيث سعى إلى إنشاء علاقات مع المسلمين في البلاد الخاضعة لحكم الدول الغربية وحقق فيها نجاحا ولو معنويا بربطهم بمركز الخلافة من خلال إرسال ممثليه إليها)[6].ويبدو أنّه حقق نجاحا – ولو معنويا– فقد كانت تلقى خطب الجمعة باسمه في تلك البلدان إلى جانب بعض المؤسسات العلمية والثقافية التي كانت تفتح باسم السلطان عبد الحميد كالجامعة الحميدية في بكين، بالإضافة إلى المؤسسات الدينية كالمساجد[7].

---

(1) قنان، المرجع السابق، قرص مضغوط.

(2) عبد الحميد الثاني، المصدر السابق، ص 176-177.

(3) التركيتي، المرجع السابق، ص ص 114-115.

(4) حرب، المرجع السابق، ص 84.

(5) دهاش، المرجع السابق، ص 114.

(6) صرما، المرجع السابق، ص 49.

(7) نفسه، ص ص 85-87.

عمل السلطان "عبد الحميد الثاني" على إحياء الخلافة من خلال جمع كلمة المسلمين وتوثيق الصلة بينه وبينهم قصد الوقوف صفا واحدا في مواجهة الدول الإستعمارية[1]؛ ولأن الجامعة الإسلامية لا تقوم على أساس تفوق الجنس أو اللغة، فإن السلطان لم يستثن من دعوته تلك أحدا مهما كان مذهبه أو قوميته أو موقعه الجغرافي، بالإضافة إلى أنّه لم يحصرها في العثمانيين كما حدث في فترة التنظيمات التي أوجدت فكرة إنشاء أمة عثمانية عن طريق منح الجميع المسلمين وغير المسلمين المساواة كمبدأ للتضامن[2].

أعلّن السلطان "عبد الحميد" عن الخلافة عندما أصدر الدستور سنة 1876م،حيث نصت مادته الثالثة على تأكيد قيام الخلافة الإسلامية الجليلة، في بيت آل عثمان، وعلى الرغم من تعطيله لهذا الدستور إلا أن هذا النص الدستوري ظل ساري المفعول[3].وفي ظل إهتمامه بإحياء الخلافة حرّص السلطان على أن يقرن إسمه بالألقاب الدينية التي يقرن بها اسم الخليفة مثل أمير المؤمنين ،خادم الحرمين الشريفين، كما كان يطيب للسلطان أن يكون لاسم دار الخلافة الصدارة على الإسمين الآخرين لعاصمة دولته وهما استانبول والأستانة وذلك تعميقا للفكرة الدينية في الجامعة الإسلامية ودعما لها.

2.التقرب من الطرق الصوفية:

اعتمدت الدولة العثمانية منذ فتوحاتها في أوروبا على شيوخ الطرق الصوفية من أجل نشر الإسلام فيها، فقد كانت ترسلهم إلى البلدان المراد فتحها فيتعرفون عليها و على أهاليها[4]. لما لهؤلاء من تأثير قوي على المجتمعات الإسلامية؛ وبسبب نمو الطرق الصوفية في أواخر القرن التاسع عشر فإن السلطان عبد الحميد الثاني قد سعى إلى التقرب منها ومن شيوخها لخدمة الجامعة الإسلامية[5]. كما عمل على تكوين رابطة بين مقر الخلافة – إسطنبول- وبين تكايا ومراكز تجمع تلك الطرق في كل أنحاء العالم الإسلامي. فتكونت على إثر ذلك لجنة مركزية من علماء وشيوخ الطرق الصوفية

---

(1) محمد بن عبد الله آل زلفة، **الإصلاحات العمرانية في الولايات العربية في عهد السلطان عبد الحميد الثاني على ضوء الوثائق والصور الفوتوغرافية**،ط1،دار بلاد العرب، المملكة العربية السعودية، 2012م،ص07.

(2) مانتران، المرجع السابق، ص 175.

(3) الشناوي، المرجع السابق، ص 61.

(4) حرب، المرجع السابق، ص 195.

(5) عبد الرؤوف سنو، "السلطان عبد الحميد الثاني والعرب الجامعة الإسلامية وأثرها في احتواء القومية العربية"، "مجلة حوار العرب، ع 4،بيروت،2005م،ص 6.

الذين عملوا مستشارين للسلطان في شؤون الجامعة الإسلامية كان أبرزهم الشيخ أحمد أسعد، شيخ الطريقة الرّفاعية أبو الهدى الصيادي وشيخ الطريقة المدنية محمد ظافر الطرابلسي وغيرهم[1].

لم تقتصر السياسة الإسلامية للسلطان "عبد الحميد الثاني" على عاصمة الخلافة وإنما تعدتها إلى الأقاليم التابعة للدولة حيث كانت هناك هيئات فرعية تابعة للجنة المركزية أبرزها تلك التي كانت منتشرة في مكة المكرمة تحت إشراف شريف مكة، وقد كانت مهمتها تنصب في نشر الجامعة الإسلامية في موسم الحج. بالإضافة إلى الهيئات المنتشرة في كل من بغداد وشمال إفريقيا التي كان لها نفس المهمة. حيث لعبت تلك الهيئات دورا كبير في الدعاية للجامعة الإسلامية، فقد قام فيها مشايخ الطرق الصوفية بخدمات جليلة من أجل الدعوة إلى جمع كلمة المسلمين والوقوف في وجه الدول الإستعمارية. ويمكن أن نستشهد في هذا السياق بقول المخابرات الفرنسية التي تواجدت بشمال إفريقيا نقلا عن محمد حرب:(يمكن للسلطان عبد الحميد بصفته رئيسا للجامعة الإسلامية أن يجمع من خلال ارتباطاته الوثيقة بالجماعات الدينية في شمال إفريقيا جيشا منظما يتمكن إذا لزم الأمر أن يقاوم به أي قوة أجنبية)[2].

كان الحج من أهم الوسائل التي استخدمها شيوخ الطرق الصوفية لنشر أفكار الجامعة الإسلامية فقد كانوا يعينون أكثر أتباعهم علما وتقوى وشهرة على زوايا مكة والمدينة فكان لهم تأثير كبير على المجتمع الإسلامي. لذلك عملت الدول الإستعمارية على تصعيب الحج على المسلمين قدر المستطاع واختلاق أسباب اقتصادية وصحية للتقليل من عدد قاصدي الحج[3].

تعدّ الطريقة الرّفاعية والشاذلية من أهم الطرق التي اعتمد عليها السلطان "عبد الحميد الثاني" من أجل نشر فكرة الجامعة الإسلامية لما لهما من أهمية كبيرة فاقت أهمية الطرق الأخرى إلى جانب ذلك كان السلطان ينتمي إلى الطريقة الثانية[4].وقد أكد هذا القول أحد القناصل الفرنسيين نقلا عن إحسان ثريا صرما:(...أعتقد أنه يمكن القول بأن هذه الطرق متميزة بل وتسبق بأعمالها ونشاطاتها السياسية كل الجماعات الإسلامية الأخرى التي لم يظهر لها تأثير إلا في المجالات الروحية)[5].

---

(1) حرب، المرجع السابق،ص196.

(2) نفسه، ص197.

(3) صرما ،المرجع السابق، ص ص 55-56.

(4) سنو ،"السلطان عبد الحميد..."،المرجع السابق، ص6.

(5) صرما، نفسه.

أ–الطريقة الرّفاعية[1]:

كان من بين الطرق التي اعتمد عليها السلطان "عبد الحميد الثاني" لنشر فكرة الجامعة الإسلامية هي الطريقة الرّفاعية التي تزعمها الشيخ "أبو الهدى الصيادي" والذي يعد من أهم الشخصيات الدينية العربية التي لعبت دورا في تلك الدعوة، حيث سعى إلى تقوية مكانة الخليفة في البلاد العربية مدافعا عن حكم السلطان وعن شرعيته في تولي الخلافة فدعا على إثر ذلك العرب بخاصة إلى طاعته، كما كان حلقة الإتصال مع شيوخ سوريا والجزيرة العربية[2].

لجأ "الصيادي" في ظل نشره للجامعة الإسلامية إلى الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تحث على وحدة المسلمين وأتباع رأي أولي الأمر، وتجنب الشقاق والفتنة بين المسلمين. بالإضافة إلى لجوئه إلى تأليف الكتب والمقالات التي تتمحور حول الدفاع عن شرعية الخلافة العثمانية و دعوة المسلمين للإلتفاف حول الخليفة "عبد الحميد الثاني" والخضوع له[3].كما دعا إلى الإتحاد والإتفاق وجمع شتات القلوب من أجل إعلاء كلمة الحق التي هي الرابطة بين المسلمين في الغرب والشرق[4].

ب–الطريقة الشاذلية–المدنية[5]:

تكفلّت هذه الطريقة بالدعوة للجامعة الإسلامية في شمالي إفريقيا، وقد تزعمها شيخها "محمد ظافر"، والذي استخدمه السلطان "عبد الحميد الثاني" لمناهضة نفوذ فرنسا في المنطقة، كما كان بمثابة الوسيط بين السلطان وشيخ الطريقة السنوسية في ليبيا من أجل تنسيق مقاومة التوسع الأجنبي في وسط إفريقيا[6].وقد نشط أتباع هذه الطريقة بشكل كبير في المغرب العربي خاصة في ليبيا، حيث

---

(1) **الطريقة الرّفاعية:** تنسب هذه إلى أحمد بن علي الرّفاعي المتوفى سنة 578هـ بالعراق وتسمى البطائحية نسبة للبطائح والأحمدية نسبة لاسم شيخهم الأول وهي تقوم على عشرة قواعد من بينها البيعة والخلوة، كما تقوم على العمل بمقتضى الكتاب والسنة، أنظر: عبد الله بن دجين السهلي، **الطرق الصوفية نشأتها وعقائدها وآثارها**،ط1،دار كنوز إشبيليا، المملكة العربية السعودية،2005م،ص ص89-90.

(2) سنو، "السلطان عبد الحميد..."،المرجع السابق ،ص6.

(3) مصطفى، المرجع السابق، ص 253.

(4) جدعان، المرجع السابق، ص 264.

(5) **الطريقة الشاذلية:** تنسب هذه الطريقة لأبي الحسن بن عبد الله المغربي الشاذلي المتوفى سنة 656هـ، له عدة أحزاب منها: حزب البر والمعروف بالحزب الكبير، كان مركزها في مصر ثم انتشرت في باقي البلاد العربية، وأهم مناطق نشاطها المغرب العربي وسوريا والأردن والمدنية فرع من فروع الطريقة الشاذلية ،أنظر: السهلي، نفسه، ص ص 86-87.

(6) سنو،" السلطان عبد الحميد..."، نفسه.

كانت لهم زوايا في طرابلس الغرب وفي الضاحية والزاوية والغربية والطابور وزوارة وجبل ليبيا وغيرها من مناطق البلاد، ومما جاء في الأرشيف الفرنسي نقلا عن إحسان ثريا صرما[1] لدليل على هذا الكلام حيث ذكر أن:(رئيس طريقة المدنية الديني والسياسي هو الشيخ ظافر، شيخ السلطان عبد الحميد الذي يقيم في استانبول، وعدد هؤلاء المدنيين كبير، ويقيمون في ليبيا ويقومون بنشاطات فعالة).

اعتمدت تلك الطريقة على عدة أساليب وطرق من أجل دعوتها القائمة على توحيد صفوف المسلمين والوقوف في وجه المستعمرين الأجانب، حيث لجأت إلى بعث الروح النضالية في نفوس المسلمين، كما لجأوا إلى الإستعانة بالعرب للتصدي للخطر الأجنبي[2].بالإضافة إلى إتصالهم بالطرق الأخرى المتواجدة في المناطق الأخرى من إفريقيا. وننوه إلى أنه كانت هناك بعض المحاولات لتوحيد الطريقتين السنوسية والمدنية لكنها لم تسفر عن أية نتيجة وبقيت كل طريقة منفصلة عن الأخرى[3].ويبدو أن العلاقات بين السنوسيين والدولة العثمانية لم تكن مبنية على الود والتحالف رغم محاولة السلطان "عبد الحميد الثاني" الداعية لتمتين العلاقة بينهم[4].

البعد السياسي:

لم تظهر فكرة الجامعة الإسلامية التي نادى بها السيد "جمال الدين الأفغاني" في معترك السياسة الدولية إلاّ في عهد السلطان "عبد الحميد الثاني" بعد أن تمكن هذا الأخير من تجاوز تلك المشاكل الداخلية والخارجية التي واجهت الدولة العثمانية خلال توليه الحكم[5]. فقد دعت تلك الظروف إلى تبنيه للفكرة لكونه رأى فيها خير علاج وأفضل وسيلة لانتشال الدولة من الأزمات المحيطة بها. وقد سعى السلطان "عبد الحميد" لتجسيد الجامعة الإسلامية لذلك عمد إلى تقريب الدعاة العرب من جهة وإنتهاج سياسة الخطوط الحديدية من جهة أخرى[6]

---

(1) صرما، المرجع السابق، ص 58.

(2) نفسه، ص 60.

(3) نفسه، ص 66.

(4) ستودارد، المصدر السابق، ص ص 298-299.

(5) أحاطت بالدولة العثمانية لما اعتلى السلطان عبد الحميد الثاني عرشها سنة 1876م جملة من الظروف الصعبة يمكن أن نجملها في الثورات التي نشبت في شبه جزيرة البلقان وتزايد نشاط الفئات المطالبة بالدستور، فضلا عن الأوضاع السيئة التي كانت تمر بها الدولة في الأقاليم التابعة لها كاحتلال الجزائر سنة 1830م،بالإضافة إلى الحرب الروسية العثمانية (1877-1878م) ونتائجها السلبية على الدولة. أنظر: طقوش ،المرجع السابق، ص 478.

(2) حرب، المرجع السابق، ص 171.

1.التقرب من الدعاة والعرب:

أ) دعاة الجامعة الإسلامية:

لجأ السلطان "عبد الحميد" في ظل سعيه لتوحيد مسلمي العالم وبخاصة في الصين والهند وأواسط آسيا وشمال إفريقيا، إلى الإستعانة بالدّعاة من مختلف جنسيات العالم الإسلامي، ومن العلماء الذين لهم شأن عظيم في مجال السياسة من جهة والقادرين على الذهاب إلى أرجاء العالم الإسلامي للإلتقاء بالشعوب الإسلامية وفهم ما عندهم وإبلاغهم بآراء وتوجيهات السلطان من جهة أخرى[1].ولعلّ أبرز هؤلاء "جمال الدين الأفغاني"، "محمد عبده" و"مصطفى كامل".

-جمال الدين الأفغاني:

يعدّ "الأفغاني" من أهم دعاة الجامعة الإسلامية الذين استعان بهم السلطان "عبد الحميد الثاني" من أجل تنفيذ سياسته الإسلامية، حيث بادر بدعوته لزيارة الأستانة بعد أن أرسل إليه دعوتين الأولى كانت عن طريق سفير الدولة العثمانية في العاصمة البريطانية "لندن" "رستم باشا" وقد رفضها الأفغاني، أما الثانية فكانت عن طريق "أبو الهدى الصيادي" والتي وافق عليها بعد أن وضع شرط دعم فكرة الإتحاد الإسلامي خاصة بين الأفغانستان وبلاد فارس ووافق عليه السلطان[2].فتوجه على إثر ذلك إلى الأستانة واستقبل فيها استقبالا يليق به .

ومن الأسباب التي كانت وراء دعوة السلطان "عبد الحميد الثاني" "للأفغاني" سعيه لكسب ولاء المسلمين من خلال إهتمامه بالعلم والعلماء، بالإضافة إلى تلقيه بعض الأنباء التي تقول بأن "الأفغاني" قد التقى في باريس ببعض أعضاء جمعية تركيا الفتاة وراقه برنامج الجمعية، وشجع أعضائها، فخشي السلطان من أن ينضم جمال الدين إلى تلك الجمعية[3].بالإضافة إلى إدراكه لمدى توافق أفكاره وأفكار الأفغاني فكلاهما يسعى إلى تحقيق التضامن على أساس الدين الإسلامي وتشكيل جبهة موحدة ضد الغرب[4].

---

(1) حرب، المرجع السابق، ص 171.

(2) Aytek Sever, **A Pani-Islamist in istanbul:Jamal Adin Afghani and Hamidian islamism, 1892-1897**,Athesis submitted to the Graduate school of social siences of middle east technical university,in partial fulfillement of the equirements for the degree of master of science in the department of middle east studies.2010.p 55.

(3) الشناوي، المرجع السابق، ص 66.

(4) Aytek Sever ,op cit ,p57

تعدّدت المقابلات بين الطرفين، حيث أكثر السلطان من الإجتماع "بالأفغاني" إثر وصوله لعدّة ساعات في كل يوم وليلة، ولما أدرك السلطان فطنة وحكمة هذا الداعية عرض عليه عدّة مناصب من بينها منصب شيخ الإسلام إلاّ أنه لم يقبل بذلك العرض قائلا:(إن وظيفة العالم ليست بمنصب ذي راتب، بل بصحيح الإرشاد والتعليم ورتبته ما يحسن من العلوم مع حسن العمل بالعلم)[1]. وفي المقابل أبدى تجاوبا إتجاه السلطان ودعوته للخلافة بعد أن تأكد له أهمية هذه الأخيرة في جمع كلمة المسلمين تحت راية واحدة لمجابهة الخطر الأجنبي وهذا ما عبّر عنه من خلال قوله:(أما ما رأيته من يقظة السلطان، وشدة حذره، وإعداد العدّة اللازمة لإبطال مكائد أوروبا، وحسن نواياه، واستعداده للنهوض بالدولة، الذي فيه نهضة المسلمين عموما فبايعته بالخلافة والملك، عالما علم اليقين أن الممالك الإسلامية في الشرق لا تسلم من شراك أوروبا، ولا من السعي وراء إضعافها وتجزئتها، إلا بيقظة وانتباه عمومه وانضواء تحت راية الخليفة الأعظم)[2].

كما عمد "الأفغاني" في إطار هذا التعاون وفي ظل تحقيق الجامعة الإسلامية إلى تقديم مشروع الإصلاح السياسي القائم على إقرار الحكم الدستوري وإعادة التشكيل الإداري للدولة العثمانية[3]، حيث اقترح لهذا الأمر أن تتحول الولايات المنضوية تحت لواء الدولة العثمانية إلى خديويات (ممالك)، كما كانت الأمور سارية المفعول في مصر قبل الإحتلال البريطاني لها. حيث تصبح العراق وشمال الشام خديوية، وكل من دمشق وبيروت والقدس خديوية، والحجاز كذلك.

لكنّ السلطان "عبد الحميد الثاني" رفض ذلك، وقد عبّر عن ذلك بقوله:(لم تتطور بلادنا التطور الكافي لتقبل الحكم الدستوري فإن هذا الطراز من الحكم خطر كبير علينا، إذ بمقتضاه يكون جميع الرعايا متساوين في الحقوق والواجبات، وهذا أمر يستحيل تطبيقه في بلادنا...وإعلان الدستور وتشكيل حكومة نيابية في بلادنا يعني حدوث الفوضى وانقسام الناس شيعا وأحزابا يقاتل بعضها بعضا، ويؤدي بالدولة العثمانية إلى الخراب...)[4].

في موضع آخر كان "الأفغاني" يدرك مدى مسعى السلطان "عبد الحميد الثاني" في تقوية الروابط بين البلدان الإسلامية لاسيما بين السنة والشيعة، لذلك عرض على السلطان مشروعا يرمي إلى إقامة

---

(1) الأفغاني،**خاطرات**...،المصدر السابق، ص 64.

(2) نفسه،ص 61.

(3) الأفغاني و عبده، **العروة الوثقى**...،المصدر السابق، ص ص 82-83.

(4) عبد الحميد الثاني، المصدر السابق، ص ص 104-105.

الإتحاد بين الدولة العثمانية وإيران وأفغانستان، لكن مشروعه هذا لم يلقى النور. ويبدو أن ذلك يعود إلى أن السلطان "عبد الحميد" لم يكن يريد سوى توحيد الحركة السياسية لمواجهة الإحتلال وفقط[1].

باءت أغلب المشاريع التي اقترحها "الأفغاني" بالفشل. ولذلك نجد أن مواقفه تجاه التأييد العثماني قد خضعت لتقلبات وتطورات، فحينما تأكّد له بأنّ الزحف الإستعماري هو العدو الرئيسي للعالم الإسلامي، انحاز إلى وضع يده في يد السلطان، ولكن بمجرد إدراكه للإختلاف الحاصل بينه وبين هذا الأخير قطع حبل التعاون[2]. وهنا حدثت القطيعة بينهما.

-محمد عبده:

كان الشيخ "محمد عبده" من العلماء الذين اتصل بهم السلطان "عبد الحميد الثاني" واستأنس بآراهم. من أجل إكساب مقام الخلافة صفة القوة والعالمية ونشر فكرة الجامعة الإسلامية بين المسلمين في كافة الأقطار التي يعيشون بها من جهة ومقاومة الإحتلال الأجنبي من جهة أخرى[3].وقد اتسم موقف الشيخ من الدولة العثمانية بالتأييد حيث دعا إلى حمايتها من القوى الدولية التي كانت لا تتوقف عن تدبير المؤامرات والفتن ضدها، ليس لأنّه كان من المتحمسين لحكم الأتراك، وإنّما لأنه كان يعي جيّدا أن إضعافها وتفكيكها يعني تمهيد الطريق أمام أوروربا الإستعمارية للسيطرة على العالم الإسلامي؛ فقد دعا إلى إصلاح الدولة العثمانية وتجديد شبابها. فالمحافظة عليها -حسب رأيه- هي ثالثة العقائد بعد الإيمان بالله ورسوله، فهي الوحيدة الحافظة على سلطان الدين الكافلة لبقاء حوزته وليس للدين سلطان سواها[4].

يبدو أنّ العلاقة بين الطرفين بدأت بمبادرة الشيخ بالإتصال بالسلطان من خلال تقديمه لمشروع إصلاح التعليم الديني في الدولة العثمانية سنة 1887م[5]؛ذلك لأنّه رأى بأنّ قصور التعليم الديني في الدولة ساهم في تسهيل الطريق أمام السيطرة الأجنبية؛ فقد تراجع رجال السياسة ممن يقومون بالعمل في الدولة وتدبير أمور الرعية وحمايتها عن دورهم الأساسي القائم على الدفاع عن الأمة الإسلامية من

---

(1) حرب، المرجع السابق، ص 181.

(2) محمد عمارة، **جمال الدين الأفغاني موقظ الشرق وفيلسوف الإسلام**،ط2،دار الشروق،القاهرة-بيروت،1988م، 149.

(3) صرما، المرجع السابق، ص 22.

(4) مهني، المرجع السابق، ص 92.

(5) قدّم الشيخ محمد عبده مشروع إصلاح التعليم الديني في لائحتين: الأولى إلى شيخ الإسلام بالدولة العثمانية والثانية إلى والي بيروت. للتوسع أنظر: رشيد رضا، **تاريخ الأستاذ**...،المصدر السابق، ص ص 414-415.

الخطر الأجنبي، فقد ركنّوا إلى الراحة ومالوا إلى الخيانة[1]. كما دعا إلى التربية السياسية التي أطلق عليها إسم الأدب السياسي[2]، ذلك لأنّ التربية تحرّر الإنسان من قيود العبودية والجهل ،فلا يمكن أن نتصور شخصا جاهلا يمارس بنجاح حقوقه السياسية في الإنتخاب وإبداء الرأي.

لما تأكدّ للسلطان "عبد الحميد الثاني" مدى توافق هذا المشروع الذي قدّمه الشيخ "محمد عبده" في سياسته الإسلامية فإنّه سعى إلى الإستعانة به في الدعوة إلى الجامعة الإسلامية. فامتدت على إثر ذلك دعوة "محمد عبده" في ثلاث جهات متوازية في الشام ومصر والمغرب العربي، ومنها إلى أندونيسيا. وكان أبرز مجال هذه الدعوة تونس والجزائر[3]، فقد وجد الشيخ فيهما من يؤمنون بفكرته ويسايرون خطوته.

- **مصطفى كامل[4]:**

أرسل السلطان "عبد الحميد الثاني" في ظل تبنيه للجامعة الإسلامية ثلاث دعوات إلى "مصطفى كامل" لزيارة استانبول فلبّى هذا الأخير تلك الدعوات، الأولى كانت عقب تخرجه بسنتين، أي عندما كان عمره لا يتجاوز الثانية والعشرون. أما الثانية فقد كانت في 30 جوان 1896م،أما الثالثة فقد كانت في 25 ماي 1899م[5]. منحه خلالها عدّة رتب من بينها رتبة النيشان المجيدي الثالث[6]،والتي

---

(1) محمد فوزي عبد المقصود، **الفكر التربوي للأستاذ الإمام محمد عبده وآلياته في تطوير التعليم**، د.ط، جامعة الفيوم ، د.د ، د.ب،د.ت،191.

(2) نفسه، ص 225.

(3) قصد محمد عبده تونس سنة 1885م ثم أعاد زيارتها وزيارة الجزائر سنة 1903م،أين وجدت دعوته تأثيرا بالغا في السكان ، أنظر، الجندي، **العالم الإسلامي**...، المرجع السابق، ص ص 286-287.

(4) **مصطفى كامل**: ولد بالقاهرة في 14 أوت 1874م،تربى في أسرة وصلت إلى طبقة الأفندية، حفظ القرآن الكريم في صغره. حقوقي مصري متخرج من جامعة تولوز في فرنسا قبل بلوغه العشرين من عمره، انصرف إلى مقاومة الإحتلال الإنجليزي لمصر بخطبه ومقالاته وكتبه، ويميل إلى الجامعة الإسلامية. أنظر: محمد عمارة، **الجامعة الإسلامية والفكرة القومية نموذج مصطفى كامل** ، ط1،دار الشروق،بيروت-القاهرة،1994م،ص 16 وما بعدها.

(5) حرب، المرجع السابق ،ص 184.

(6) **النيشان المجيدي** نوع من الأوسمة وأرفعها في الدولة العثمانية استحدث في عهد عبد الحميد الثاني وكان على أربع درجات، بعد أن استحدث من قبل في عهد كل من محمود الثاني وكان على أربع درجات ثم في عهد عبد المجيد الأول وكان على ست درجات، ثم عبد العزيز وكان على خمس درجات أنظر: صابان، المرجع السابق، ص 225.

ثم قلّده بالوسام المجيدي الثاني[1]. ولإعجاب السلطان بحماسة مصطفى كامل للجامعة الإسلامية منحه رتبة مير ميتران.

كان مصطفى كامل من بين الذين كرّسوا جهودهم لتجسيد الجامعة الإسلامية، فقد رفع شعارها وناضل تحت رايتها وعمل على تشجيع العلاقات المصرية العثمانية، وقد عبّر عن ذلك بقوله نقلا عن التكريتي[2]:(نحن نود أن تكون قوة متحالفة للدولة العثمانية ننصرها وتنصرنا ونعتز بها، وأكدّ على أهمية الترابط الديني بين المسلمين، وساند دور السلطان عبد الحميد الثاني وجهوده في العمل بسياسة الجامعة الإسلامية)، وقد استخدم قدرته الخطابية وقلّمه في الصحف للتأكيد على أهمية ارتباط مصر بالدولة العثمانية من جهة والدعاية للجامعة الإسلامية وتضامن المسلمين ومحاولة درء الخطر الأجنبي عن العالم الإسلامي. فقد أنشأ صحيفة اللواء عام 1900م،فكانت مؤيدة لسياسة الجامعة الإسلامية. كما دافع عن هذه الأخيرة في جلّ مقالاته المنشورة التي حاولت الدول الأوروبية تشويه صورتها[3].

وتجدر الإشارة إلى أنّ العلاقة الجيدة التي كانت بين السلطان عبد الحميد الثاني ومصطفى كامل لم تتعدّى الإتفاق في المواجهة المشتركة ضد الإستعمار الأوروبي عدّوهما المشترك. ذلك لأنّ مضمون الجامعة الإسلامية عند مصطفى كامل يختلف عن مضمونها عند السلطان عبد الحميد، فقد رفع شعار الجامعة من منطلق قومي مصري مستنير،(حيث انصب جل تفكيره ونشاطه العملي في السعي لاستقلال مصر التام والسعي لغرس العقيدة الوطنية المصرية والقومية المصرية في عقول الشعب المصري ووجدانه)[4].

ب) أشراف العرب:

كان لتوغل الأفكار القومية بين مسلمي الدولة العثمانية وبخاصة لدى العرب الأثر البالغ في تعجيل السلطان "عبد الحميد الثاني" لتبني الجامعة الإسلامية واستخدامها كأداة لكبح الإتجاهات القومية وإعادة دمج العرب بالدولة على أساس روابط الإسلام، ومن هنا عمل على تقريب العرب إليه

---

(1) **الوسام المجيدي**: نوع من الأوسمة المحدثة في عهد السلطان عبد المجيد 1839-1861م،وكان أرفع وسام في الدولة العثمانية حتى استحداث الوسام العثماني، ويسمى أيضا بالنيشان المجيدي. كان له من الرتب :المرصع ،الرتبة الأولى والثانية والثالثة والرابعة والخامسة، أنظر: نفسه، ص 202.

(2) التكريتي، المرجع السابق، ص 116.

(3) نفسه، ص 117.

(4) عمارة، **الجامعة الإسلامية** ... ،المرجع السابق، ص ص 91-92.

من الأشراف ورؤساء العشائر البدوية بعد أن أدرك القوة والنفوذ الإجتماعيين التي تحتلها هذه الفئة من المجتمع[1].فأفسح لهم المجال للإنخراط في مختلف مؤسسات الدولة والولايات وعلى جميع المستويات. فقرّب إليه أسر الأعيان بشرائحها الإجتماعية والدينية المختلفة كآل العظم والعابد، والمؤيد واليوسف والقوتلي في سوريا والحسيني والخالدي في فلسطين. وقد وصل بعض هؤلاء إلى رتبة الوزارة، "كمحمد فوزي" العظم وزير الأوقاف ثم مدير الأشغال في خط حديد الحجاز، و"سليم باشا" ملحمة وزير الإخراج والمعادن و"محمد باشا". ومن رجال الصحافة قرّب إليه "أحمد فارس الشدياق"، صاحب مجلة "الجوائب" و"إبراهيم المويلحي" و"لويس صابونجي"[2].

كما قام بتنجيد شباب من العرب فألف منهم فرقة ألحقها بحرسه الخاص. ولاسترضاء العرب راح السلطان يجود على المؤسسات العلمية العربية بمنح سخية ويغدق المناصب والميزات على أمراء العرب وأعيانهم ويبذل المبالغ الطائلة لإصلاح وزخرفة المساجد في مكة والمدينة والقدس، ويوكل سدانتها إلى العرب أنفسهم، وقام بتنجيد شبابهم فألف منهم فرقة ألحقها بحرسه الخاص. كما استخدم العرب في شؤونه الشخصية في القصر السلطاني، ونال بعضهم حظوة كبرى لديه[3].

كانت أهم شخصية مدنية سياسية عربية قام السلطان "عبد الحميد الثاني" بتقريبها إليه شخصية "أحمد عزّت العابد"و"صادق باشا العظم".فبرز الأول عام 1895م،حيث كان وراء إنشاء خط حديد الحجاز،وقد تمكن من إيصال العديد من أفراد عائلته إلى مناصب رفيعة في الدولة .أما الثاني فقد كان معاونا للسلطان الذي كلّفه بمهمة الإشراف على إنشاء خط التلغراف بين دمشق ومكة المكرمة[4].

كان السلطان عبد الحميد يرسل خطابات الود إلى رؤساء القبائل والأمراء في جزيرة العرب وغيرها مع الرسل لاستمالتهم، وكان يرسل لهم الرتب والنياشين، ولعلّ هذا الأمر برز بشكل جلّي لما تبين له إتصال بريطانيا بشيوخ القبائل العربية لتحريضها ضده. ولكن ذلك لم يمنعه من حجز الذين يشك في ولائهم له وللخلافة في استانبول حتى يأمن انقلابهم ضده حيث كان كان يقلّدهم المناصب والمرتبات[5]. وهذا ما فعله مع الشريف الحسين شريف مكة عندما عيّنه عضوا في مجلس شورى الدولة

---

(1) سنو،" السلطان عبد الحميد..."،المرجع السابق، ص 04.

(2) نفسه ،ص ص 07-08.

(3) مصطفى، المرجع السابق، ص 252.

(4) سنو، ، نفسه، ص 07.

(5) حرب ،المرجع السابق، ص ص 226-227.

في استانبول ليمنعه من العودة إلى مكة وذلك بعد أن وصلته أخبار تقول بأن بريطانيا قد اتصلت به عن طريق سفرائها وقناصلها[1].

أدرك السلطان أن دمج العرب في الدولة العثمانية واستخدامهم كوسيلة لتحقيق الجامعة الإسلامية لابد أن يصاحبه تحسين في الإدارة والقضاء وفي الوضع الإجتماعي والديني وفي التعليم. فأما على مستوى الإدارة فقد أحدث تقسيمات إدارية جديدة في بلاد الشام، كما أولى اهتماما بالمجالس الإدارية ونشر البلديات في مدنها ومدن العراق. أما على مستوى القضاء فقد أعاد تنظيم المحاكم، وتم توسيع المحاكم المدنية. بينما عمل على الصعيدين الإجتماعي والديني على إجراء مصالحات بين العشائر المتنافسة واستقرارها في مستوطنات زراعية، كما أولى إهتماما بالغا بترميم الكعبة والحرم وتحسينها وإرسال الهبات والصدقات والأوقاف إليهما[2].

أما بالنسبة للتعليم فقد كان أهم عمل قام به السلطان في ظل استمالته للعرب هو إنشائه لمدرسة العشائر العربية في استانبول، والتي كان يختار طلابها على أساس القرعة ويختار بعضهم من أبناء العائلات الأصلية العريقة ذات النفوذ والسمعة الطيبة من أبناء زعماء العرب، وقد توسعت هذه المدرسة فيما بعد فأخذت أيضا من أبناء الأكراد والألبان[3].

كما عمد إلى إقامة نظام تربوي في الولايات العربية إرتكز على مؤسسات تعليمية عصرية أكثر من المؤسسات الدينية ولذلك شهدت بلاد الشام والعراق بشكل خاص خلال هذه الفترة افتتاح العديد من المدارس الرسمية على كافة المستويات وبخاصة الإبتدائية والرشدية في المدن الرئيسة، كما أنشأ بعض المدارس المهنية التي تعنى بتخريج المعلمين والتحضير للمدارس العسكرية[4]. وقد استقبلت الدولة العثمانية في مدارسها الملكية والحربية أعدادا متزايدة من أبناء الأعيان العرب لمتابعة دراساتهم العليا والتدريب على الوظيفتين المدنية والعسكرية وتم اختيار القليل منهم لدراسة الطب[5].

---

(1) حرب ،المرجع السابق ، ص 227.

(2) سنو،" السلطان عبد الحميد..."،المرجع السابق، ص ص 08-09.

(3) حرب، نفسه، ص 226.

(4) سنو، نفسه، ص 09.

(5) يبدو أن السلطان عبد الحميد الثاني لم يكن يهدف من خلال إنشائه للمدارس واستمالة العرب إليها فقط وإنما سعى إلى تغليبها على المدارس التنصيرية، فكان يفضل تعليم الطلاب في المدارس العثمانية والعربية بدل إرسالهم إلى أوروبا فيتأثرون بأفكارها ويندمجون في مجتمعاتها ويتخلون بذلك عن تقاليد وعادات المسلمين المبنية على الشريعة الإسلامية، أنظر: نفسه ، ص 10.

2.سياسة الخطوط الحديدية:

بدأ إهتمام الدولة العثمانية بإنشاء شبكة واسعة من الخطوط الحديدية في مختلف أنحائها منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وذلك قصد ربط أجزائها البعيدة بعضا بالبعض الآخر، لإحكام السيطرة التامة عليها، وإشراكها في مهمة الدفاع عن الدولة من خلال تقديم المال والرجال، فضلا عن دور هذه الخطوط في نقل القوات إلى أية بقعة كانت من بقاع الدولة التي قد تتعرض للعدوان[1].لتعرف تلك الخطوط نشاطا مكثّفا في عهد السلطان عبد الحميد الذي سعى من خلالها إلى جعل الدولة قوة عالمية فاعلة يحسب لها حسابها في مواجهة الغزو الثقافي والفكري، وبموجب ذلك تستعيد دولة الخلافة العثمانية قوتها بعد ضعف، وتقف سدّا منيعا في وجه الأطماع الأوروبية في العالم الإسلامي[2].

شرع السلطان "عبد الحميد" في تشييد عدد من طرق المواصلات الحديدية بين عامي 1882م و 1908م التي تربط استانبول بحواضر العالم الإسلامي فحققوا على إثرها الكثير من النجاحات في ذلك المجال، حيث جرى مد 2350 كيلومترا من السكك الحديدية في سوريا وفي الحجاز في مقابل 1850 كيلومترا في الأناضول[3]،ولعل سكة حديد بغداد سنة 1898م،الأبرز من بين تلك المشاريع بسبب الشهرة الواسعة التي اكتسبتها من جراء الجدل الذي دار حولها بين ألمانيا وبريطانيا وفرنسا وروسيا[4].

أكدّ السلطان أهمية هذا الخط من خلال مذكراته بقوله:(...فبفضل خط حديد بغداد سيعود طريق أوروبا–الهند إلى سابق نشاطه،فإذا أوصلنا هذا الخط بسوريا وبيروت والإسكندرية وحيفا نكون قد أوجدنا طريقا تجاريا جديدا.ولن يقتصر هذا الطريق على در الفوائد الإقتصادية العظيمة لإمبراطوريتنا،بل سيتعداها إلى الناحية العسكرية فيدعم قوة جيشنا هناك)[5].لكن أهم هذه الخطوط هو خط حديد الحجاز.

---

(1) نزار علوان عبد الله،" سكة حديد الحجاز وأشراف مكة المكرمة (1900–1914م) رؤية تاريخية لمراحل البناء والموقف المعارض(سكة حديد الحجاز، الفكرة والبناء، الموقف المعارض)"، الجامعة المستنصرية، د.ت، ص 03.

(2) أحمد إبراهيم أبو شوك، "خط سكة حديد الحجاز: المسوغات والآثار والنتائج"، مجلة الإسلام في آسيا، الجامعة الإسلامية العالمية ماليزيا، المجلد 6،العدد 1،جويلية 2009م،ص 04.

(3) مانتران، المرجع السابق، ص 177.

(4) عبد الله، نفسه.

(5) عبد الحميد الثاني، المصدر السابق، ص 67.

-خط حديد الحجاز:

يعدّ خط حديد الحجاز أهم عمل قام به السلطان "عبد الحميد الثاني" في سبيل تحقيق مشروع الجامعة الإسلامية، ويمتد من دمشق إلى المدينة المنورة على مسافة يقدر طولها بعشرين وثلاثمائة وألف كيلومترا، ثم يتفرع في شكل شبكة خطوط ثانوية تربطه بعدد من المدن العربية المهمة مثل: بيروت، حيفا ويافا، على البحر الأبيض المتوسط [1]وبتمويله الإسلامي، وبنائه من قبل المهندسين العثمانيين ،على الرغم من الإستشارة الألمانية أثبت تضامن مسلمي العالم حول فكرة الجامعة الإسلامية، كما عزز ثقة العثمانيين بأنفسهم، وأكسب عبد الحميد سمعة عالية في العالم الإسلامي بوصفه خليفة المسلمين[2].

تعود فكرة إنشاء هذا الخط إلى "عزت باشا العابد" السكرتير الثاني للسلطان العثماني، الذي قدم سنة 1898م تقريرا عن انتفاضة اليمن ضد الدولة العثمانية، حيث أوصى بإنشاء خط حديدي يربط دمشق بالحجاز، بحجة أنّ ذلك سيسهم في بسط نفوذ الدولة العثمانية في المنطقة من جهة ويساعد على تسيير سبل المواصلات إلى أراضي مقدسة من جهة أخرى وعليه أصدر السلطان إرادة سنية في 2 ماي 1900م اقتضت تنفيذ هذا المشروع[3].

بدأت عملية تنفيذ مشروع خط حديد الحجاز بتأسيس عزت باشا العابد للجنة برئاسته مهمتها فتح باب التبرعات لتمويل المشروع نظرا للتكاليف العالية لتنفيذه. وقد وجه عزّت باشا بدوره نداءا إلى العالم الإسلامي أشار فيه إلى أن الدافع الديني هو الذي ألهم الخليفة عبد الحميد الثاني إلى تبني فكرة هذا المشروع خدمة للإسلام والمسلمين.فلاقت تلك الدعوة استجابة إسلامية واسعة، حيث ساهم المسلمون من كل البلدان الإسلامية في هذا المشروع الإسلامي حيث بلغت حصيلة تلك التبرعات 760 ألف ليرة عثمانية، وكان السلطان أول من بادر بتبرع قدره 320.000 ليرة ذهبية [4] .

لكن ذلك المبلغ لم يكن كافيا للبدء في التنفيذ، الأمر الذي أدى بالسلطان إلى تخصيص إيرادات بعض المناطق وبعض الضرائب لتوفير الأموال اللازمة للإنشاء، وبتنازل موظفي الدولة عن مرتب شهر واحد، وعن عشرة بالمائة من مرتباتهم عن شهر واحد في كل عام كمساهمة في تغطية النفقات

---

[1] أنظر الملحق رقم 02.

(2) سنو، "السلطان عبد الحميد..."،المرجع السابق، ص 11.

[3] أبو شوك، المرجع السابق، ص ص 06-07.

[4] دهاش، المرجع السابق، ص 123.

المطلوبة، كما فرض على كل حاج يسير الحال ريالا واحدا يدفعه أثناء موسم الحج إلى جانب مصادر التمويل الأخرى[1].

وعندما توفر المبلغ الكافي والذي قدر بثمانية ملايين ونصف مليون ليرة عثمانية شرع في إنشاء خط حديد الحجاز في 1 سبتمبر 1900م الذي صادف مرور 24 سنة على تولي السلطان عبد الحميد الحكم[2]، أين عيّن هذه الأخير لجنة مركزية للإشراف على تنفيذ هذا المشروع، وكان مقرها في دمشق أسندت رئاستها إلى ناظم باشا. لينتهي العمل به سنة 1908م[3].وقد خصص السلطان لكل من قدّم خدمات جليلة أو قدّم أموالا للسكة ميدالية سكة حديد الحجاز والتي كانت على ثلاثة أنواع: ذهبية وفضية ونحاسية[4].

كان السلطان "عبد الحميد الثاني" يرمي من خلال خط حديد الحجاز إلى خدمة حجاج بيت الله الحرام وتسهيل وصولهم إلى الأراضي المقدسة بأقصر الطرق باعتباره زعيما روحيا لمسلمي العالم، لكنّه رأى فيه وسيلة سياسية أكثر من ذلك لربط الأقاليم والمناطق الحجازية بالعاصمة استانبول، كما كان يأمل تعزيز قبضة الدولة العثمانية في مناطق غربي شبه الجزيرة العربية[5]. فضلا عن كونه وسيلة تحد من أية محاولة لإنشاء خلافة عربية ،أو مصرية لضم البحر الأحمر والحجاز، أو حركة استقلالية في اليمن، حيث يبقي المواصلات البرية للقوات العثمانية مع الجزيرة العربية مفتوحة. ويبدو أن هذا الخط يدخل ضمن الصراع العثماني البريطاني على الجزيرة العربية وبخاصة الحجاز وأماكنه المقدسة. وهنا نلاحظ تدخل ألمانيا بإنشائها لعلاقة ودية مع الدولة العثمانية لمجابهة السياسة البريطانية، ذلك من خلال الخدمات التي قدّمها مهندسوها في تنفيذ خط حديد الحجاز.[6]

---

(1) عبد الله، المرجع السابق، ص 05.

(2) آل زلفة، المرجع السابق، ص 23.

(3) أبو شوك، المرجع السابق، ص 15.

(4) صابان، المرجع السابق، ص 219.

(5) عبد الله، نفسه، ص 04.

(6) من بين أولئك المهندسون الذين ساهمو بشكل كبير في بناء خط حديد الحجاز، المهندس هيرنش أغسطس مسزنر(Heinrich August Meissner)، أنظر: نزار علوان عبد الله، المرجع السابق،ص 06.

الخاتمة

إنّ موضوع الجامعة الإسلامية من الموضوعات التي تحتاج إلى دراسة عميقة وبحث طويل وقد ظلّت إلى يومنا هذا مجالا لتضارب الأراء، إذ اختلفت أحكام المؤرخين حول تقييمها بين منصف ومتحامل. ومهما يكن فهي تعدّ من أهم الوسائل التي تركت أثرا عميقا في المجتمعات الإسلامية من خلال مساهمتها في إيقاظ شعور المسلمين والأخذ بهم نحو التقدم والرقي وإعادة مجدهم وعزّهم الذي كانوا عليه قبل أن يدخلوا في مرحلة السبات العميق. بالإضافة إلى مساهمتها في مواجهة الإستعمار الأوروبي. كما كان لها دور كبير في تثبيت مظاهر الوحدة والتعاون وترسيخها في أجيال ذلك الزّمن الذي ظهرت فيه وامتد إلى أجيال الحاضر، حيث أثبتت مدى تفوق الروح الجماعية على الروح الفردية من خلال تلك الحركات النضالية التي أبدّتها الشعوب الإسلامية ونخص بالذّكر شعوب المغرب الإسلامي التي تأثرت بها حيث كانت لها حافزا ودافعا قويا لحمل لواء الجهاد .

تمكنت الجامعة الإسلامية باعتبارها مشروعا فكريا وسياسيا من تحقيق النّجاح، فأما على الصعيد الفكري فقد ساهمت في سريان حركة الإصلاح التي ظهرت أواخر القرن 18م وتبلورت في القرن 19م ، حيث كانت بمثابة النور الذي أيقظ المسلمين من سباتهم مما أدى إلى بروز النّهضة العربية. أما على الصعيد السياسي فقد استطاعت توجيه ضربة قوية للدول الأوروبية فأدت بها إلى إعادة النظر في إستراتجيتها وخططها الإستعمارية؛ لكن ذلك لم يكن سوى نجاحا نسبيا إذ لم تتمكن من ردع تلك الدول بشكل نهائي، فقد سعت هذه الأخيرة إلى تشويه الجامعة الإسلامية وإلى القضاء عليها من خلال تزكيتها للقومية العربية فنجحت في ذلك.

من النتائج أيضا إختلاف مفهوم الجامعة الإسلامية بين المفكر والحاكم، وهذا ما نلاحظه من خلال نظرة السيد "جمال الدين الافغاني" ونظرة السلطان "عبد الحميد الثاني" خاصة في الجانب السياسي بالرّغم من توافقهما حول ضرورة التصدي للخطر الأجنبي، فرؤية الأفغاني كانت أكثر تقدما من رؤية السلطان عبد الحميد ،فقد نادى بجامعة إسلامية تجمع كيانات سياسية مستقلة تابعة للدولة العثمانية شرفيا، بينما أراد الثاني جامعة إسلامية تتمتع فيها الدولة العثمانية بخلافة المسلمين.

أضف إلى ذلك أنّ الجامعة الإسلامية هي حركة إصلاحية بالدرجة الأولى في نظر الأفغاني، سعى من خلالها إلى إصلاح أوضاع المسلمين فكريا وسياسيا، فكان تبنيه لتلك الحركة ينطلق من الأصول الإسلامية والإستفادة من العلوم الأوروبية الحديثة في حدود الشريعة الإسلامية، حيث حثّ المسلمين على ضرورة الإقتداء بتعاليم الإسلام الصحيحة التي عرّفت إهمالا من قبلهم أمام تسرب الأفكار الأوروبية التي أخذت تتغلغل في الأوساط الإسلامية دون تحفظ.

كما دعا في ظل ذلك الإصلاح إلى التحرر من الظلم والإستبداد والحرص على تطبيق العدل والمساواة مقترحا الثورة السياسية كحل أمثل فضلا عن دعوته لتحقيق الوحدة الإسلامية. وقد تمكنّ من نشر دعوته الإصلاحية تلك عن طريق إعتماده على الخطابة والكتابة التي ساعدته في إلقاء دروس ومحاضرات وكتابة مقالات تحفيزية تحث على ضرورة إحياء الروح الجماعية بدل الروح الفردية. ولعلّ نجاحه يكمن في استمرار الجامعة الإسلامية بعد مماته على يد تلاميذه الذين اقتفوا أثره ودافعوا عن الجامعة بأقلامهم وخطاباتهم.

لكنّها ظلت أمرا نظريا إلى أن تبناها السلطان "عبد الحميد الثاني" الذي اتخذها سياسة رسمية للدولة العثمانية أواخر القرن 19م،وقد حدث ذلك في الوقت الذي كان فيه العالم الإسلامي بشكل عام والدولة العثمانية بشكل خاص في أمس الحاجة إلى مثل هذه المشاريع لتجاوز تلك التحديات الداخلية والخارجية، فكانت فرصة حصلت عليها الشعوب الإسلامية للنّجاة والخلاص من السيطرة الأجنبية. وقد نجح السلطان من خلالها بالحصول على تأييد تلك الشعوب له فاستطاع بذلك تهديد النفوذ الأوروبي في المناطق العثمانية والإسلامية الخاضعة للسيطرة الأوروربية.

وقد وجد السلطان "عبد الحميد الثاني" في الجامعة الإسلامية خير علاج لمواجهة خصومه لذلك إنتهج سياسة إسلامية داخلية وخارجية، فأما على المستوى الداخلي فقد أخذت بعدا روحيا حثّ من خلاله السلطان على الإلتزام بالشريعة الإسلامية بدل الجنوح في اتجاه التغريب بدعوى الإصلاح والتقدم، أما على المستوى الخارجي فقد أخذ بعدا سياسيا دعا من خلاله إلى تحفيز كل الشعوب العثمانية والإسلامية للإلتفاف حول الخلافة والإستعداد لرفع لواء الجهاد ضد المطامع الأجنبية. وعلى ضوء تلك السياسة لجأ إلى التقرب من الشخصيات الدينية والسياسية كنوع من التنفيذ العملي لهذه السياسة، حيث كانت تتنقل بين الأقطار الإسلامية فتزرع بذور الجامعة الإسلامية وتحثهم على ضرورة الإتحاد تحت راية الخلافة العثمانية بصفتها ممثل المسلمين.

لكن النتيجة التي يمكن أن نستخلصها من الجهود التي بذلها السلطان في سبيل تجسيد الجامعة الإسلامية هي أنّ سكة حديد الحجاز كانت من أهم الوسائل التي حققت له ذلك. فمن خلالها تمكن من الناحية الدينية من تسهيل شعائر الحج وخدمة الحجاج فضلا عن توثيق الروابط بين مختلف أنحاء الدولة العثمانية، أما من الناحية السياسية فقد ضمنت له نقل القوات العسكرية العثمانية بأقصى سرعة ممكنة إلى الجزيرة العربية لمنع أي إعتداء داخلي أو خارجي.

قائمة الملاحق

الملحق رقم 01: نموذج من صفحات جريدة العروة الوثقى الأصلية



العروة الوثقى

جريدة سياسية أدبية

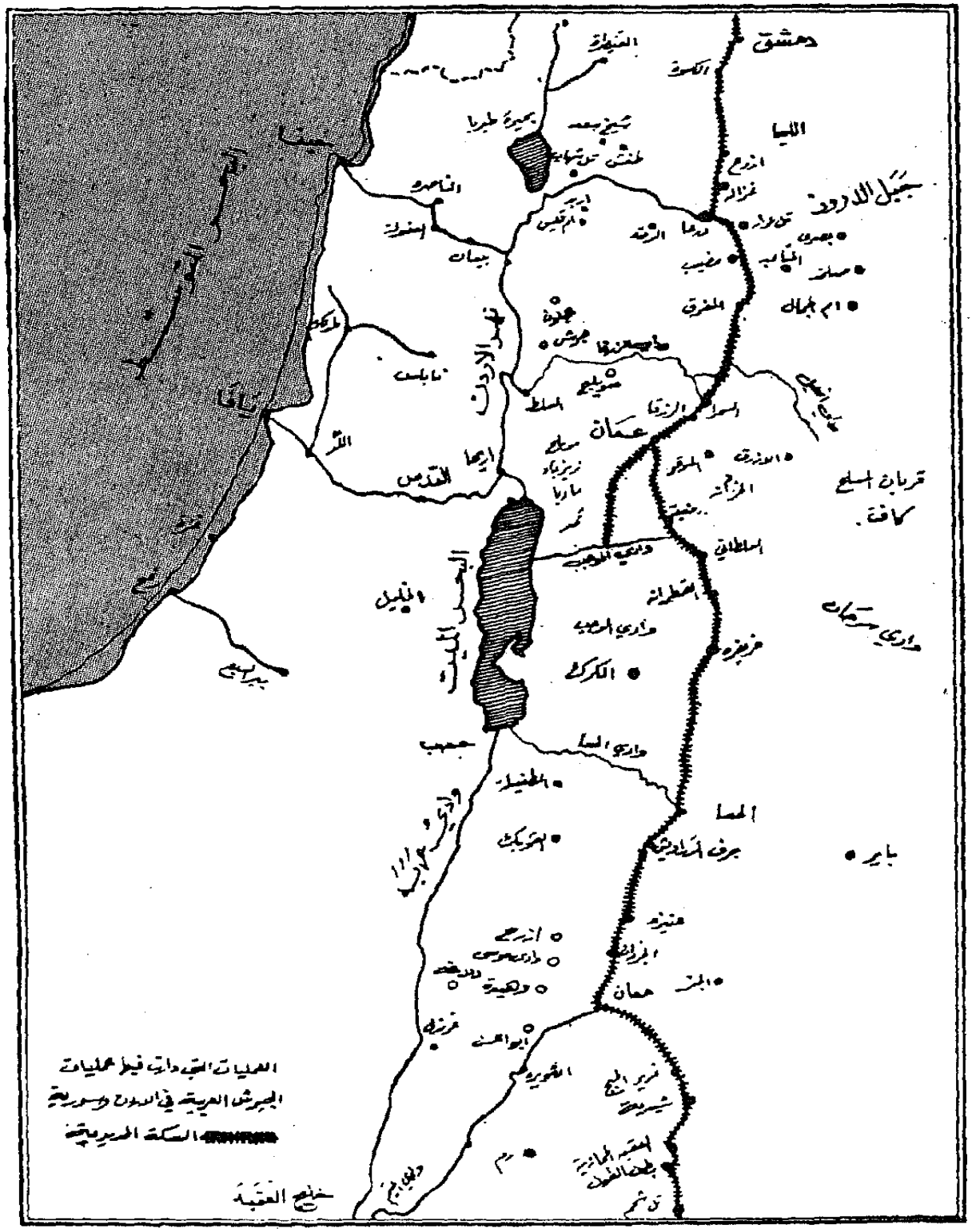
يوم الخميس سنة ٢ رمضان سنة ١٣٠١

١٠ يوليه سنة ١٨٨٤

باريس سبت ١٠ يوليه

جمال الدين الأفغاني، **خاطرات**...، المصدر السابق، ص 59.

الملحق رقم 02:خريطة خط حديد الحجاز



موفق بني مرجة، المرجع السابق، ص 111.

قائمة المصادر والمراجع

المصادر العربية والأجنبية:

القرآن الكريم

1.المصادر العربية:

أ) الكتب:

1-الأفغاني جمال الدين،**خاطرات جمال الدين الأفغاني آراء وأفكار**،تقديم:سيد هادي خسرو شاهي ، ط 3 ، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة،2001م.

2-الأفغاني جمال الدين و عبده محمد،**العروة الوثقى**،تقديم:سيد هادي خسرو شاهي،ط 3 ، مكتبة الشروق الدولية،القاهرة،2001م.

3-رضا محمد رشيد، **تاريخ الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده (1622–1363هـ=1849–1905م)** ، ج1،ق1،ط2،دار الفضيلة،القاهرة،2006م.

4-ستودارد لوثروب، **حاضر العالم الإسلامي** ، تر: عجاج نويهض، تع: شكيب أرسلان، م1،ط 4، دار الفكر ، بيروت 1973م.

5-السيد الفراتي، **أم القرى**،دط،المطبعة المصرية بالأزهر،القاهرة،1931م.

6-عبد الحميد الثاني، **مذكراتي السياسية 1891–1908م**،ط2،مؤسسة الرسالة،بيروت،1979م.

7-الكواكبي عبد الرحمن،**طبائع الإستبداد ومصارع الإستعباد**، د.ط،كلمات عربية للترجمة والنشر، القاهرة،2011م.

8-المغربي عبد القادر، **جمال الدين الأفغاني ذكريات وأحاديث**،ط3،دار المعارف،القاهرة،1987م.

9-ميرزا لطف الله خان،**حقيقة جمال الدين الأفغاني**،تر:عبد النعيم حسنين،ج2،ط1،دار الوفاء، المنصورة،1988م.

ب) المجلات:

1-رضا محمد رشيد،"الإصلاح الديني المقترح على مقام الخلافة الإسلامية"،مجلة المنار،م1، ع40،ط2 ، مصر،1316هـ-1898م.

2-رضا محمد رشيد،"فاتحة السنة الأولى للمنار"،مجلة المنار،م1، ع1،ط2،مصر،1316هـ-1898م.

3-رضا محمد رشيد،"الجامعة الإسلامية وآراء كتاب الجرائد فيها"،مجلة المنار،م2، ع22،ط2، مصر، 1317هـ-1899م.

4-رضا محمد رشيد، "قول اللورد كرومر في الجامعة الإسلامية والشريعة"، مجلة المنار،م10، ع 2،ط2،مصر، 1325هـ-1907م.

5-الزهراوي عبد الحميد،"السنوسية والجامعة الإسلامية"،مجلة المنار،م10، ع8،مصر،1325هـ-1907م.

6-ك.ت خير الله،"الجامعة الإسلامية"،مجلة المنار، ع 15، ج2 ،ط2، مصر،1391هـ-1912م.

2. المصادر الأجنبية:

1- Azéri et B.L ; "Le Panislamisme" ,Revue de Monde Musulman, V 27, Ernest Le roux éditeur, paris,1914.

2- Depont .O et Talayrach d'erkhard ;" Panislamisme et Propagande islamique", La Revue de Paris ,T06 ,Bureaux de la Revue , Paris, Novembre ,1899.

3- Le chatelier, A ; "Le Panislamism et le Progrés" , Revue du monde musulman ,vol 01 ,n 04, bureaux de la revue, Paris ,février 1907.

4- X ; "Pnislamisme et Panturquisme", Revue du Monde Musulman,V22, bureaux de la revue, Paris , Mars 1903.

المراجع العربية والأجنبية:

1. المراجع العربية:

1-أحمد صلاح زكي ،**أعلام النهضة العربية الإسلامية في العصر الحديث**،ط1،مركز الحضارة العربية ، القاهرة،2001 م.

2-أمين أحمد،**زعماء الإصلاح في العصر الحديث**، د.ط، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ت.

3-بني مرجة موفق،**صحوة الرجل المريض أو السلطان عبد الحميد الثاني والخلافة الإسلامية** ، د.ط،مؤسسة صقر الخليج،الكويت،1984م.

4-البهي محمد،**الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالإستعمار الغربي**،ط3،مكتبة وهبة،القاهرة،1961.

5-جدعان فهمي،**أسس التقدم عند مفكري الإسلام في العالم العربي الحديث**،ط3،دار الشروق ، عمان،1988م

6-الجندي أنور،**تاريخ الصحافة الإسلامية** ،ج1،د.ط،دار الأنصار،مصر،د.ت.

7-الجندي أنور،**العالم الإسلامي والإستعمار السياسي والإجتماعي والثقافي**،ط2،دار الكتاب اللبناني-مكتبة المدرسة،بيروت،1983م.

8-الجندي أنور،**اليقظة الإسلامية في مواجهة الإستعمار منذ ظهورها إلى أوائل الحرب العالمية الأولى**،ط1،دار الإعتصام،القاهرة،1978م.

9-الحافظة علي،**الإتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة 1798–1914م**،دار الأهلية، بيروت،1987م.

10-حرب محمد،**السلطان عبد الحميد الثاني آخر السلاطين العثمانيين الكبار 1658–1336 هـ/ 1846–1918م**،ط 1،دار القلم،دمشق،1990.

11-الحلاق محمد راتب،**عبد الحميد الزهراوي 1288–1334هـ/1871–1916م دراسة في فكره السياسي والإجتماعي**،ط1،إتحاد الكتاب العرب،دمشق،1995م.

12–بن دجين السهلي عبد الله،**الطرق الصوفية نشأتها وعقائدها وآثارها**،ط1،دار كنوز إشبيليا ، المملكة العربية السعودية،2005م.

13- زرزرو عدنان محمد، **جذور الفكر القومي والعلماني**،ط3،المكتب الإسلامي،بيروت–دمشق– عمان،1999م.

14-سعد الله أبو القاسم،**الحركة الوطنية الجزائرية 1900–1930م**،ط4،دار الغرب الإسلامي، بيروت ، 1992م.

15-الشناوي عبد العزيز محمد،**الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها**،ج3،د.ط،مكتبة الأنجلو المصرية،د.ت.

16-صرما إحسان ثريا،**السلطان عبد الحميد الثاني وسياسة الوحدة الإسلامية**،تر:كمال أحمد خوجة،ط1،د.د ،العراق،2014م.

17-طقوش محمد سهيل،**تاريخ العثمانيين من قيام الدولة إلى الإنقلاب على الخلافة**،ط 3،دار النفائس،بيروت،2013م

18-بن عبد الله آل زلفة محمد،**الإصلاحات العمرانية في الولايات العربية في عهد السلطان عبد الحميد الثاني على ضوء الوثائق والصور الفوتوغرافية**،ط1،دار بلاد العرب،المملكة العربية السعودية، 2012م.

19-عبد القادر محمد الخير،**نكبة الامة العربية بسقوط الخلافة العثمانية دراسة للقضية العربية في خمسين عاما 1875–1965م**،ط1،مكتبة وهبة،القاهرة،1985م.

20-عبد المقصود محمد فوزي، **الفكر التربوي للأستاذ الإمام محمد عبده وآلياته في تطوير التعليم**، د.ط،جامعة الفيوم ، د.ب، د.ت.

21-علوش ناجي،**مدخل إلى قراءة:عبد الحميد الزهراوي حياته–مؤلفاته–أفكاره**،ط1،منشورات وزارة الثقافة،دمشق،1995م.

22-عمارة محمد،**الجامعة الإسلامية والفكرة القومية نموذج مصطفى كامل**،ط1،دار الشروق، بيروت–القاهرة،1994م.

23-عمارة محمد،**جمال الدين الأفغاني موقظ الشرق وفيلسوف الإسلام**،ط2،دار الشروق،القاهرة–بيروت،1988م.

24-عمارة محمد، **جمال الدين الأفغاني المفترى عليه** ،ط1،دار الشروق،القاهرة–بيروت،1988م.

25- قلعجي قدري، **ثلاثة من أعلام الحرية جمال الدين الأفغاني محمد عبده سعد زغلول**،د.ط،دار الكتاب العربي،د.ت.

26-كابان عبد الكريم علي،**الإصلاح الديني في المسيحية مقارنة بالإصلاح الفكري في الإسلام**،ط 1،دار دجلة ،المملكة الأردنية،2010م.

27-مانتران روبير،**تاريخ الدولة العثمانية**،ت:بشير السباعي،ط1،دار الفكر،القاهرة–باريس،1992م.

28–محمد علي أورخان:**السلطان عبد الحميد الثاني حياته وأحداث عهده**،ط4،د.د،إسطنبول، 2008م.

29-المصري جميل عبد الله محمد، **حاضر العالم الإسلامي وقضاياه المعاصرة** ،ج1،د.ط،كلية الدعوة وأصول الدين ، المملكة العربية السعودية،1381هـ.

30-مصطفى أحمد عبد الرحيم،**في أصول التاريخ العثماني**،ط 3،دار الشروق،القاهرة، 2003م.

3.المقالات:

1- بوعبدلي المهدي،"دور جمال الدين الأفغاني في يقظة الشرق ونهضة المسلمين"،مجلة الأصالة، ع 44،الجزائر،1977م.

2-التكريتي نصير خير الله محمد،"أضواء على موقف مصر من حركة الجامعة الإسلامية 1882-1908م"،مجلة جامعة تكريت للعلوم،م 18، ع 8،أيلول 2011م.

3-قنان جمال،"نظرة حول حركة الإصلاح الإسلامي والجامعة الإسلامية في القرن التاسع عشر"،مجلة المصادر،العدد 11،مركز الدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م،قرص مضغوط.

4-سنو عبد الرؤوف،"السلطان عبد الحميد الثاني والعرب الجامعة الإسلامية وأثرها في احتواء القومية العربية"،مجلة حوار العرب، ع 4،بيروت،2005 م.

5-سنو عبد الرؤوف،"تطور الإتجاهات الإسلامية في الدولة العثمانية من التنظيمات حتى نهاية عصر السلطان عبد الحميد الثاني"،مجلة المنهاج، ع 4،الحلقة الاولى،1996م.

6-أبو شوك أحمد إبراهيم،"خط سكة حديد الحجاز:المسوغات والآثار والنتائج"،مجلة الإسلام في آسيام 6، ع1،الجامعة الإسلامية العالمية ماليزيا،يوليو،2009م.

7-علوان عبد الله نزار،"سكة حديد الحجاز وأشراف مكة المكرمة (1900-1914م) رؤية تاريخية لمراحل البناء والموقف المعارض(سكة حديد الحجاز،الفكرة والبناء،الموقف المعارض)"،الجامعة المستنصرية،د.ت.

4.الرسائل الجامعية:

الرسائل باللغة العربية:

1-حافظ محمد جمال الدين فردوس ، **موقف أوروبا من دعوة السلطان عبد الحميد الثاني لإنشاء الجامعة الإسلامية 1876–1909م**،رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الحديث،(مرقونة)، ،جامعة أم القرى،المملكة العربية السعودية،2006-2007م.

2-حافظ محمد جمال الدين فردوس،**دور السفراء العثمانيين والفرنسيين في حركة التغريب في الدولة العثمانية (1203–1327هـ/1788–1909م)**،رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر،(مرقونة)،جامعة أم القرى،المملكة العربية السعودية.

3-دهاش الصادق ،**مشروع الوحدة التحرري لحركة الجامعة الإسلامية في بلدان المغرب العربي بين 1876–1919**،أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر،(مرقونة)،جامعة الجزائر 2008،02-2009م.

4-دراوي أمحمد، **الجزائر والجامعة الإسلامية 1876–1924م**،مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ المعاصر ،(مرقونة)، جامعة الجزائر،2007-2008م.

5-معبود فضل وآخرون، **السيد جمال الدين الأفغاني وخدماته الدينية والأدبية**، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في الدراسات العربية،(مرقونة)،جامعة شاور،1980م.

6-مهني عيسى، **محمد عبده ومواقفه من قضايا عصره(1849–1905م)**،مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في التاريخ المعاصر،(مرقونة)،جامعة محمد خيضر،بسكرة،2014م.

7-هزرشي بن جلول، **الشيخ محمد رضا والدولة العثمانية** ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر ،(مرقونة)،جامعة الجزائر،2003–2004 م.

الرسائل باللغة الأجنبية:

1- Sever Aytek, **A Pani-Islamist in istanbul:Jamal Adin Afghani and Hamidian islamism,1892-1897**,Athesis submitted to the Graduate school of social siences of middle east technical university,in partial fulfillement of the equirements for the degree of master of science in the department of middle east studies,2010.

5.المعاجم والموسوعات:

1-الزركلي خير الدين،**الأعلام قاموس وتراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين**،ج3،ج6،ج8،ط5،دار العلم للملايين،بيروت،2006م.

2-صابان سهيل ،**المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية**،مراجعة:عبد الرزاق محمد حسن بركات،مكتبة الملك فهد الوطنية،الرياض،2000م.

3-الكيالي عبد الوهاب،**الموسوعة السياسية** ، ج 2،المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت.

الفهرس

المقدمة.....	07-02
المبحث الأول: التطور التاريخي لمفهوم الجامعة الإسلامية.....	27-08
المطلب الأول: ماهية الجامعة الإسلامية.....	16-09
1.المفهوم الفكري والسياسي.....	12-09
2.الخلفيات التاريخية.....	16-12
المطلب الثاني: الجامعة الإسلامية بين المفهوم الإسلامي والمفهوم الأوروربي.....	27-17
1.المفهوم الإسلامي.....	23-17
أ)الإتجاه الإصلاحي التجديدي.....	20-17
ب)الإتجاه القومي.....	23-20
2.المفهوم الأوروربي.....	27-23
أ)رجال السياسة.....	25-23
ب)المفكرون والكتاب.....	27-25
المبحث الثاني: البعد الإصلاحي للجامعة الإسلامية في فكر السيد جمال الدين الأفغاني.....	45-28
المطلب الأول: الإصلاح الفكري.....	37-28
1.الإصلاح الديني.....	32-29
أ)الرجوع إلى تعاليم الإسلام الصحيحة.....	31-29
ب)التجديد الديني.....	32-31
2.التوجيه والإرشاد.....	37-32
أ)إلقاء الدروس والمحاضرات.....	33-32
ب)إنشاء الجمعيات والكتابة في الصحف.....	37-33
المطلب الثاني: الإصلاح السياسي.....	45-37
1.التحرر من الحكم الإستبدادي.....	40-38

أ)إقرار العدل.....	39-38
ب)إقرار مبدأ الشورى.....	39
2.مقاومة الإحتلال الأجنبي.....	45-40
أ)بعث الروح النضالية.....	42-40
ب)تحقيق الوحدة الإسلامية.....	45-42
المبحث الثالث:السياسة الإسلامية للسلطان عبد الحميد الثاني.....	64-46
المطلب الأول:البعد الروحي.....	58-47
1.إحياء الخلافة والإلتزام بالشريعة الإسلامية.....	51-47
أ)على الصعيد الداخلي.....	50-47
ب)على الصعيد الخارجي.....	51-50
2.التقرب من الطرق الصوفية.....	54-51
أ)الطريقة الرّفاعية.....	53
ب)الطريقة الشاذلية-المدنية.....	54-53
المطلب الثاني:البعد السياسي.....	64-54
1.التقرب من الدعاة والعرب.....	62-55
أ)دعاة الجامعة الإسلامية.....	59-55
-جمال الدين الأفغاني.....	57-55
-محمد عبده.....	58-57
-مصطفى كامل.....	59-58
ب)أشراف العرب.....	61-59
2.سياسة الخطوط الحديدية.....	64-62
-خط حديد الحجاز.....	64-63
الخاتمة.....	67-65
قائمة الملاحق.....	70-68
قائمة المصادر والمراجع.....	77-71
الفهرس.....	80-78